جامعة قطر

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

موقف يوحنا الدمشقي من الإسلام وأصوله وأثره في العلاقات الإسلامية المسيحية

إعداد

محمد أمين الديرشوي

قُدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

للحصول على درجة الماجستير في

الأديان وحوار الحضارات

يناير 2024م/ 1445هـ

2024©. محمد أمين الديرشوي. جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالب/ة محمد أمين الديرشوي بتاريخ 10ديسمبر 2023م، وَوُفِق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالب المذكور اسمه أعلاه .وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطالب.

د. يوسف بنلمهدي

المشرف على الرسالة

د. سمير قدوري

مناقش داخلي

أ.د. عبد القادر جدي

مناقش داخلي

د. اسمهان بوعيشة

مناقش خارجي

تمّت الموافقة:

الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كلّيّة الشريعة والدراسات الإسلامية

المُلخَّص

محمد أمين الديرشوي، ماجستير في الأديان وحوار الحضارات:

يناير 2024.

العنوان: موقف يوحنا الدمشقي من الإسلام وأصوله وأثره في العلاقات الإسلامية المسيحية

المشرف على الرسالة: د. يوسف بنلمهدي

أثرت كتابات يوحنا الدمشقي في العلاقات المسيحية الإسلامية، وأسهمت في تشكيل صورة عن الإسلام وأصوله لدى الغرب المسيحي، ويهدف البحث إلى تسليط الضوء على شخصية يوحنا الدمشقي وعلى موقفه من الإسلام والمسلمين والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، باستخدام منهج وصفي تحليلي وتاريخي ونقدي، وبيان الشبهات التي أثارها، وتتبع أبرز المتأثرين به من الجداليين المسيحيين الذين تناولوا الشبهات في كتاباتهم، والكشف عن الموقف المسيحي والإسلامي من يوحنا، وتحليل صورته المعروضة عبر الإعلام المرئي، وقد خلص البحث إلى أن يوحنا الدمشقي لم يكن منصفاً في تناوله للإسلام وأصوله مما يجعله رائد عدوان ومن أبرز معوقات الحوار الإسلامي المسيحي، ويوصي الباحث بمعالجة ما يثير الشقاق بين المسلمين والمسيحيين والتركيز على القضايا المشتركة التي تعزز التعايش والحوار بأسلوب هادئ ومفيد بعيداً عن التعصب والكراهية.

الكلمات المفتاحية: العلاقات الإسلامية المسيحية، يوحنا الدمشقي، الإسلام وأصوله، معوقات الحوار الإسلامي المسيحي.

Abstract

The Position of John of Damascus on Islam, its origins, and the Impact on Islamic-Christian Relations

The writings of John of Damascus have played a significant role in influencing Islamic–Christian relations and contributed to forming an image of Islam and its origins in the Christian West. This study aims to shed light on the personality of John of Damascus and his position on Islam, Muslims, and the Prophet Muhammad (PBUH). The study has adopted descriptive, analytical, historical, and critical approaches. The study discussed the suspicions that John of Damascus raised and traced the most prominent Christian polemicists influenced by him. Moreover, the study also revealed the Islamic and Christian positions on John of Damascus and analysed his image displayed through the visual media. The study concluded that John of Damascus was not fair in his discussion about Islam and its origins, hence, this makes him a pioneer of aggression and one of the most prominent obstacles to Islamic–Christian dialogue. The study recommends to address what causes discord between Muslims and Christians and focusing on common issues that promote coexistence and dialogue in a peace and valuable manner away from fanaticism and hatred.

Keywords: Islamic–Christian relations, John of Damascus, Islam and its origins, Obstacles of Islamic–Christian dialogue.

شكر وتقدير

أشكر الله سبحانه وتعالى الذي وفقني لكي أصل لهذه المرحلة التي ما كنت أتوقع الوصول إليها لولا توفيقه، فالحمد والشكر لك يا رب العالمين.

ومن ثم أتوجه بالشكر الجزيل لكل من ساعدني في إعداد بحثي هذا، سواء بفكرة أو اقتراح أو تعديل أو طلب أو توجيه، ولا أنسى الفضل من بعد الله في أول من اقترح علي تسليط الضوء على هذا الموضوع، للدكتور الفاضل عبد القادر بخوش أستاذي في مرحلة البكالوريوس والماجستير، وكذلك الشكر الجزيل لكل من دعمني ووجهني وشجعني على خوض هذه التجربة البحثية وهم الدكاترة الكرام: الدكتور محمد حسن خليفة، والدكتور عز الدين معميش، والدكتور حسن عبيد، والدكتور محمد أمزيان، حفظهم الله ونفع الأمة بعلمهم.

وأتوجه بالشكر الجزيل لكل من: عمي الدكتور أنس محمد مطيع الديرشوي، والعم الشيخ أنس محمد نوري الديرشوي، ورفيق العمر أخي حسام الديرشوي، والشكر موصول لكل من ساعدني في مجال اللغة الإنجليزية: صهيب الديرشوي، ومحمد فايز عبد اللطيف، ومحمد السيد آدم، وحمد ثابت فلولاهم بعد الله لوجدت صعوبات جمة وعراقيل ما كنت قادراً على تحملها.

وختاماً، أتوجه بالشكر الجزيل وعظيم التقدير والامتنان للدكتور الفاضل: يوسف بنلمهدي، الذي شرفت بالتعلم على يديه في مرحلة الماجستير، فكان خير معلم ومرشد ودليل، أسأل الله العلي القدير أن يكتب له الأجر والثواب على مسعاه الحميد.

الإهداء

أهدي بحثي المتواضع هذا في المقام الأول إلى والدي الشيخ محمد عفيف الديرشوي، حفظه الله وسلمه وشفاه وعافاه، معلمي الأول، والمربي الذي نشأني على الأخلاق الحميدة الفاضلة وغرس في قلبي حب العلم والعلماء.

وإلى والدتي العزيزة أم أسامة، هذه المرأة الصبورة التي كافحت بجد واجتهاد لترى أبناءها متعلمين وواصلين إلى أعلى درجات العلم، هذه المرأة التي حرمت من التعليم منذ صغرها، فحرصت على تعليم أبنائها وجهزت سبل الراحة كافة لهم لكي يكونوا في أعلى المراتب، ولم تأبه بالمتاعب الجمة التي تعرضت لها جراء ذلك، أسأل الله العلي العظيم أن يحفظ لي والديّ ويكتب لهما الشفاء والعافية، وأن يجزيهما خير الجزاء.

وإلى إخوتي: الكبير أسامة، وحسام، وخالد، وأختيّ أم حسان، وأم آدم، وأسأل الله أن يحفظهم ويرزقهم وعائلاتهم السعادة والخير.

وإلى رفيقة العمر، زوجتي أم هاشم التي كانت تشجعني على الدوام على المذاكرة والبحث، وتساعدني وتحرص على توفير السبل كافة لي لإعداد هذا البحث، أسأل الله العلي القدير أن يكتب لها الأجر في ذلك، وأن يرزقنا السعادة والذرية الصالحة.

محمد أمين الديرشوي.

(أبو هاشم)

فهرس المحتويات

شكر وتقدير.....هـ

الإهداء ..... و

مدخل: عصر يوحنا الدمشقي والتعريف به:..... 10

أولاً: ملامح عصر يوحنا الدمشقي:..... 10

ثانياً: سيرة يوحنا الدمشقي ومؤلفاته:..... 19

الفصل الأول: موقف يوحنا الدمشقي من الإسلام وأصوله:..... 25

المبحث الأول: موقف يوحنا الدمشقي من الإسلام والمسلمين والقرآن الكريم:..... 25

المبحث الثاني: موقف يوحنا الدمشقي من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم: 40

الفصل الثاني: أثر يوحنا في العلاقات المسيحية الإسلامية:..... 53

المبحث الأول: أبرز المتأثرين بكتابات يوحنا الدمشقي:..... 54

المبحث الثاني: الموقف المسيحي والإسلامي المعاصر من يوحنا الدمشقي:..... 70

قائمة المصادر والمراجع..... 94

المراجع باللغة العربية: 94

المراجع باللغات الأجنبية: 100

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

فقد جاءت رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة لجميع الرسالات السماوية ومكملة لها، وحمل الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين من بعدهم مهمة إيصال هذه الرسالة بعد أن أداها النبي صلى الله عليه وسلم على أكمل وجه وأتم تبليغ، وقاموا بنشر الإسلام ودعوة سائر الأمم إليها، فكان منهم من اعتنق الدين القويم داخلاً في جماعة المسلمين تاركاً عنه ما كان يعتنقه من الضلال والانحراف والتشويه، وكان منهم من أبى الرسالة وساهم في الإساءة إليها إما لهوى في نفسه وحقداً وكراهية أو حسرة على ما ضاع منه من حظ الدنيا، وكان منهم يوحنا الدمشقي الذي ولد ونشأ وعاش بين المسلمين سنوات طويلة، وتقلد منصباً رفيعاً ورثه من أبيه وجده من قبله، وبعد إقصائه من منصبه واعتزاله في دير سابا، بدأ بشن الهجوم على الإسلام والمسلمين وأثارت كتاباته جدلاً لأنها كان من المصادر الأولى التي تناولت الإسلام وأصوله واعتمد عليها الغرب إلى يومنا هذا.

مما حدا بالباحث إلى تسليط الضوء في هذا البحث على موقف يوحنا الدمشقي من الإسلام ومن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأثره في العلاقات المسيحية الإسلامية من خلال ما كتبه بصورة سلبية وقد أثر في كتابات من جاؤوا بعده، وأسهمت بشكل كبير في تشكيل صورة خاطئة لدى الغرب.

فقد اعتبر الإسلام هرطقة ومعتقداً خرافياً وثنياً وقد أطلق أبشع الأوصاف عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم واعتبره كاذباً أخذ معتقده من راهب أريوسي، وانتقلت هذه الشبهات إلى الغرب بهدف التحقير من شخصية ومكانة النبي صلى الله عليه وسلم، ويتهم المسلمين بأنهم يفصلون بين الله وكلمته وروحه ويصفهم بالقاطعين وبالوثنيين لأنهم يعبدون الكعبة.

وبعد تبنيه هذا الموقف السلبي من الإسلام والمسلمين يأتي من يعده رائداً من رواد الحوار المسيحي الإسلامي! فهل كان كذلك بالفعل؟ وهل دعمت مؤلفاته الحوار بين المسلمين والمسيحيين كما يدعون؟ وهل استفاد الغرب من مؤلفاته وأخذ فكرة صحيحة عن الإسلام ونبيه؟، أم أنه كان رائد عدوان اتخذ موقفاً سلبياً تجاه الإسلام والمسلمين لهوى في نفسه وحقداً وحسداً للمسلمين على انتصارهم وسرعة انتشار دينهم؟ وهل ما كتبه يزيد الشقاق والصراع بين المسلمين والمسيحيين؟ يحاول هذا البحث أن يجيب عن هذه الأسئلة وفق المصادر والمراجع التي توفرت للباحث.

أولاً: إشكالية البحث وأسئلته:

تكمن إشكالية البحث في الكشف عن الصورة التي صور بها يوحنا الدمشقي الإسلام ونبي الإسلام في نصه الذي كان من أوائل النصوص في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الإسلام والمسيحية.

ويمكن صياغة الأسئلة على الشكل التالي:

1- من هو يوحنا الدمشقي؟ وما هي مكانته لدى المسيحيين؟.

2- ما موقف يوحنا الدمشقي من الإسلام والمسلمين ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم؟.

3- من هم أبرز المتأثرين برأي يوحنا الدمشقي في هذا الباب؟.

4- أثر ما كتبه يوحنا الدمشقي في العلاقات المسيحية الإسلامية؟.

5- هل كان يوحنا الدمشقي رائد حوار بين المسلمين والمسيحيين أم رائد عدوان على دين الإسلام؟.

ثانياً: أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

1- التعريف بشخصية يوحنا الدمشقي ومكانته لدى المسيحيين.

2- تسليط الضوء على ما كتبه يوحنا الدمشقي عن الدين الإسلامي وشخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

3- ذكر أهم المتأثرين بما كتبه يوحنا الدمشقي في الطعن على الإسلام وأوصله، وأهم الشبهات التي تناولها في كتاباتهم.

4- الكشف عن أثر هذه الكتابات في العلاقات المسيحية الإسلامية.

5- الكشف عن دور يوحنا في الحوار المسيحي الإسلامي وهل كان رائد حوار أم رائد عدوان؟

ثالثاً: أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنه يسلط الضوء على شخصية تعد من أكثر الشخصيات جدلاً في تاريخ العلاقة بين المسيحيين والمسلمين، فلقد كانت لديه مكانة كبيرة إذ كان موظفاً لدى الدولة الأموية ورثها عن أبيه وعن جده ومن ثم أصبح راهباً وكتب مؤلفاته التي تعبر عن فكره وفلسفته، ثم أصبح فيما يكتبه مدافعاً عن العقيدة المسيحية ومهاجماً الإسلام باعتباره هرطقة. وقد كان لما كتبه أثر كبير على تشكيل صورة الإسلام لدى الغرب إذ أصبحت من المراجع التي يتم الاعتماد عليها. مما جعل الباحث يركز على دراسة ما كتبه والتي كشفت عن كراهية للإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم – وكشف أثرها لدى المتأثرين بها ودورها في تشكيل صورة خاطئة عن الإسلام لدى الغرب.

رابعاً: حدود البحث:

القرن السابع والثامن الميلاديين – الأول والثاني الهجريين.

خامساً: مناهج البحث:

تعتمد الدراسة على المناهج الآتية:

أ- **المنهج الوصفي التحليلي:** من خلال عرض ووصف ما كتبه يوحنا الدمشقي عن الإسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم وتحليله.

ب- المنهج التاريخي: من خلال تتبع الأحداث التاريخية بدءاً من عصر يوحنا الدمشقي ووصولاً إلى العصور المتأخرة بقصد رصد تأثيره.

ج- المنهج النقدي: من خلال نقد النص الذي تناول فيه الإسلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم والأثر من بعده.

سادساً: الدراسات السابقة والإضافة العلمية:

1- الغامدي، على بن محمد: **يوحنا الدمشقي رائد العدوان الفكري على الإسلام**، رسالة منشورة على النت بدون أي تفاصيل عن الطبعة أو التاريخ. في هذه الدراسة يقدم الباحث نقداً لشخصية يوحنا الدمشقي معتبراً إياه رائد عدوان وليس رائد حوار بسبب ما كتبه في هجومه على الإسلام واعتباره هرطقة. وهذه الدراسة تركز على شخصية يوحنا الدمشقي والأفكار التي تناول فيها الإسلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم بصورة سلبية. وتختلف دراستي عن هذه الدراسة بأنها تركز على أثر ما كتبه عن العلاقات المسيحية الإسلامية وأبرز المتأثرين به ودور يوحنا الدمشقي في تشكيل صورة الإسلام لدى الغرب.

2- أبو خليل، شوقي: **هكذا يكتبون تاريخنا يوحنا الدمشقي أنموذجاً**، دار الفكر سورية، الطبعة الأولى، سنة 2008 م. تعد هذه الدراسة رداً على كتاب بعنوان: منصور بن سرجون التغلبي، المعروف يوحنا الدمشقي، أو الفتح الإسلامي السهل لمدينة دمشق وأسبابه، تأليف جوزيف نصر الله، وفيه يحاول الباحث الرد على ما ادعاه مؤلف هذا الكتاب حول مرحلة

من التاريخ الإسلامي دون توثيق أو إشارة إلى مصدر من مصادر التاريخ العربي الإسلامي المتعارف على صدقها ودقتها. وتختلف هذه الدراسة عن بحثي بأنها تركز على الرد على ما جاء في الكتاب المذكور من ادعاءات حول بعض النقاط في التاريخ العربي الإسلامي، وقد وهم المؤلف في نسبة بعض المواقف إلى يوحنا الدمشقي إذ لم يفرق بينه وبين جده الذي يحمل نفس الاسم – منصور بن سرجون – والذي كان معاصراً للفتح الإسلامي لبلاد الشام. وهذا يختلف عن أهداف بحثي الذي يدور حول شخصية يوحنا الدمشقي وما كتبه حول الإسلام وأصوله وأثره في العلاقات الإسلامية المسيحية.

3- كتاب: (**John of Damascus and Islam**) للمؤلف (Peter Schadler):

يتناول المؤلف في هذا الكتاب بواكير العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، ومفهوم الهرطقة بشكل عام ثم بشكل خاص عند يوحنا الدمشقي، ثم يتحدث عن حياة يوحنا وعن مدى معرفته بالإسلام وأصوله، وتأثر ثاذوروس أبو قرة به في كتاباته.

4- كتاب: (**Christian-Muslim Relations A Bibliographical History**

Volume 1 (600-900)) للمؤلف (Thomas, David and Roggema, Barbara):

يتحدث كاتب سيرة يوحنا الدمشقي في هذه الموسوعة عن حياته وسيرته ومؤلفاته وخصوصاً عمله الرئيسي (ينبوع المعرفة) الذي يعد خلاصة وافية للمعرفة اللاهوتية المسيحية حتى عصره، وكتاب الهرطقة المئة، الذي يتعرض فيه للإسلام باعتباره هرطقة مسيحية وليس ديناً مستقلاً، ثم يتحدث عن المصادر التي تعرض سيرة يوحنا الدمشقي ومن أبرزها: سيرة يوحنا للراهب ميخائيل

السمعاني الأنطاكي، واستفاد الباحث من هذه الدراسة بأن استقى منها بعض المعلومات حول يوحنا الدمشقي.

5- كتاب: (**Byzantium and Islam**) للمؤلف (Daniel J. Sahas):

يتناول مؤلف هذا الكتاب نظرة الإمبراطورية البيزنطية إلى الإسلام باعتباره الدين الجديد الذي عد هرطقة مسيحية معاصرة، ويتحدث عن العلاقات المبكرة بين المسيحيين والمسلمين من حروب ولقاءات وتعاهدات أدت إلى التفاعل بينهم سواء كان إيجاباً أو سلباً، ويتحدث عن بعض كتاب بيزنطة الذين كتبوا عن الإسلام ومنهم: يوحنا الدمشقي الذي عاش في البلاط الأموي.

6- كتاب: (**Jean Damascène Écrits sur l'Islam**) للمؤلف (Raymond Le Coz):

يتحدث في كتابه عن يوحنا الدمشقي ومؤلفاته وما كتبه عن الإسلام والمسلمين، ويدرس نصي (الهرطقة المئة) و (مناقشة بين مسلم ومسيحي) مبيناً شكه في صحة نسبتهما إلى يوحنا الدمشقي، وقد استفاد الباحث من هذه الدراسة بأن لم يعتمد على نص مناقشة بين مسلم ومسيحي إذ لم يثبت أن يوحنا التقى بالمسلمين وناظرهم وإنما كتب مؤلفاته عندما اعتزل في دير سابا، وهذا النص من وضع أحد تلاميذه أو أحد المتأثرين به.

سابعاً: هيكل البحث:

يتكون البحث من مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة أوضحت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها خلال البحث وهي على الشكل الآتي:

مقدمة.

أ- مدخل: عصر يوحنا الدمشقي والتعريف به:

أولاً: ملامح عصر يوحنا الدمشقي.

ثانياً: سيرة يوحنا الدمشقي ومؤلفاته.

ب- الفصل الأول: موقف يوحنا الدمشقي من الإسلام وأصوله:

- المبحث الأول: موقف يوحنا الدمشقي من الإسلام والمسلمين والقرآن الكريم:

المطلب الأول: موقف يوحنا الدمشقي من الإسلام والمسلمين.

المطلب الثاني: موقف يوحنا الدمشقي من القرآن الكريم.

- المبحث الثاني: موقف يوحنا الدمشقي من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم:

المطلب الأول: موقف يوحنا الدمشقي من بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وسيرته.

المطلب الثاني: موقف يوحنا الدمشقي من بشارات الكتب السماوية السابقة ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث: إنكار يوحنا نزول الوحي على النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ج- الفصل الثاني: أثر يوحنا في العلاقات المسيحية الإسلامية:

- المبحث الأول: أبرز المتأثرين بكتابات يوحنا الدمشقي:

المطلب الأول: ثاذوروس أبو قرة.

المطلب الثاني: عبد المسيح الكندي.

المطلب الثالث: بطرس المبجل.

- المبحث الثاني: الموقف المسيحي والإسلامي المعاصر من يوحنا الدمشقي:

المطلب الأول: الموقف المسيحي المعاصر من يوحنا الدمشقي.

المطلب الثاني: الموقف الإسلامي المعاصر من يوحنا الدمشقي.

المطلب الثالث: يوحنا الدمشقي في الإعلام المرئي.

- **الخاتمة وأبرز النتائج.**

- **قائمة المصادر والمراجع.**

مدخل: عصر يوحنا الدمشقي والتعريف به:

يتناول هذا المدخل بإيجاز العصر الذي ولد ونشأ فيه يوحنا الدمشقي، وبالتحديد مدينة دمشق أثناء حكم الخلافة الأموية (41 – 132هـ / 662 – 750م)، وما كانت تحمل من أفكار وتغيرات أسهمت في تكوين آراء يوحنا الدمشقي حول الدين الجديد الذي أصبح يمسك بزمام الأمور وينتشر بسرعة في المدن والأمصار، وكذلك الحديث عن سيرته ومؤلفاته وآرائه على النحو الآتي:

أولاً: ملامح عصر يوحنا الدمشقي:

عاش يوحنا الدمشقي في دمشق التي أصبحت في غضون سنوات قليلة تحت حكم المسلمين بعد الفتوحات التي قادتها الجيوش الإسلامية والذي بدأ من عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه (50 ق هـ – 13هـ / 573 – 634م) بعد مواجهات مع الإمبراطورية البيزنطية إحدى أعظم إمبراطوريتين في ذلك الزمان، وأصبحت دمشق عاصمة للخلافة الأموية بعد اجتماع الناس على خلافة معاوية رضي الله عنه (15 ق.م – 60 هـ / 608 – 680 م) وتسلمه الحكم سنة (41هـ / 662 م)[1].

---

[1] خليفة بن خياط: أبو عمرو، **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، (الرياض: دار طيبة، ط2، 1985م)، ص203.

بعد أن استقر حكم الأمويين فقد بدؤوا بالتوسع في الفتوحات، وتوجهوا إلى سحب مقاليد الأمور من أيدي المسيحيين الذين كانت توكل إليهم مهمة إدارة شؤون البلاد ولا سيما الأمور المالية والتي كانت من اختصاصهم نظراً لخبرتهم الواسعة في هذا المجال.

1- من الناحية السياسية:

تولى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سدة الحكم بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما له بذلك، وقد سمي هذا العام (41هـ / 662 م) عام الجماعة[1]، وبدأت مرحلة الخلافة الأموية التي امتدت وتوسعت حتى وصلت إلى الصين شرقاً وجنوب فرنسا غرباً، وكان سقوطها عام 132 هـ / 750 م على يد العباسيين.

خلال هذه المدة تولى الحكم أربع عشر خليفة، بدءاً من معاوية رضي الله عنه الذي حكم حتى سنة 60 هـ، ثم حكم ابنه يزيد (26 - 64 هـ / 647 - 683 م) حتى وفاته سنة 64 هـ، ثم بويع ابنه معاوية الثاني (44 - 64 هـ / 664 - 684 م) بالخلافة في الشام، ولم تطل فترة حكمه إذ تم انتخاب مروان بن الحكم (2 - 65 هـ / 623 - 684 م) لتولي الحكم في السنة نفسها، وفي سنة 65 هـ توفي مروان وتولى ابنه عبد الملك بن مروان (26 - 86 هـ / 646 -

[1] المصدر السابق، ص261

705 م) الحكم وقد أصبح المؤسس الثاني للدولة الأموية لما عرف عنه من حسن التدبير في إدارة الدولة داخلياً بإخماد الثورات والاضطرابات وجمع شمل الأمة الإسلامية تحت راية واحدة[1].

وفي عام 86 هـ تولى الوليد بن عبد الملك (50 – 96 هـ / 668 – 715 م) الخلافة، وشهد عصره إصلاحات اجتماعية وعمرانية واقتصادية فائقة منها بناء المساجد وتعبيد الطرق وبناء المستشفيات وكفالة المحتاجين، واتسعت رقعة البلاد الإسلامية بعد الفتوحات التي تمت على يد القادة محمد بن القاسم الثقفي في السند، وقتيبة بن مسلم في بلاد بخارى وسمرقند وخوارزم وكاشغر وغيرها، وموسى بن نصير وطارق بن زياد في الأندلس[2].

وتولى الحكم من بعده أخوه سليمان بن عبد الملك (54 – 99 هـ / 674 – 717 م) سنة 96 هـ، وقد اختلف عن سابقيه بأنه كان يؤثر السلامة ويميل إلى الموادعة ويقدم رأي أهل العلم والفضل أخذاً بمبدأ الشورى[3]، وقد استخلف من بعده الخليفة عمر بن عبد العزيز (61 – 101 هـ / 681 – 720 م) الذي تولى الخلافة سنة 99 هـ، وكان يسير على خطى الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم متميزاً بالصفات الفاضلة وحسن الخلق، ورجاحة العقل والحرص على

---

[1] عبد اللطيف، عبد الشافي محمد، **العالم الإسلامي في العصر الأموي**، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 2008م)، ص140.

[2] المرجع السابق، ص145.

[3] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: دار المعارف، ط2، 1967م)، ج6، ص423. وما بعدها بتصرف.

العدل وكان زاهداً مع الخلافة جيد السياسة ناطقاً بالحق[1]، وتميز عهده رغم قصره بإرساء العدل والوفاء والمساواة ورد المظالم إلى أهلها وعزل الحكام والولاة الظلمة، وكان حريصاً على إصلاح أمور الدولة واستتباب الأمن والرخاء وتحقيق العدالة والكفاية في أرجائها كلها[2].

وفي سنة 101 هـ وبعد وفاة عمر تولى يزيد بن عبد الملك (71 – 105 هـ / 690 – 724 م) الخلافة وحاول السير على خطى عمر بن عبد العزيز ولكن لم تتوفر له ما توفر لعمر من مستشارين وعلماء صالحين، ورغم ذلك استمرت الدولة في قوتها وتصدت للثورة التي اندلعت بعد وفاة عمر وأعاد الأمن إلى البلاد وأوصى بالخلافة لأخيه هشام من بعده[3].

وتولى هشام (71 – 125 هـ / 691 – 743 م) الخلافة مدة عشرين عاماً تقريباً حافظ فيها على وحدة الدولة وحمايتها من الأخطار التي واجهتها سواء الداخلية أو الخارجية، حيث استشرت العصبية القبلية بين القيسية واليمانية، وكان هشام حريصاً على عدم الانحياز لواحد من الفريقين وأشرك زعماءهما في إدارة الدولة حفاظاً عليها من التمزق والانقسام[4]، وكانت وفاته سنة 125 هـ بداية لانهيار الدولة الأموية إذ حدث الانقسام والشقاق ولم يستطع الخلفاء بعده من الحفاظ على ملك بني أمية ليسقط على يد العباسيين القادمين من الشرق.

---

[1] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985م)، ج5، ص120.

[2] عبد اللطيف، عبد الشافي محمد، **العالم الإسلامي في العصر الأموي**، ص156.

[3] المرجع السابق، ص166.

[4] المرجع السابق، ص169.

2- من الناحية الدينية:

اندمجت القبائل العربية التي شكلت نواة الجيش الإسلامي غداة فتح بلاد الشام مع السكان وأصبح هذا الخليط يمثل المجتمع في العصور التي تلت ذلك، وكان على الشكل الآتي:

أ- العرب المسلمون:

بعد فتح المسلمين بلاد الشام نزلوا في حواضرها وفي المنازل التي تركها أهلها وبنوا منازلهم فيها واتخذوها مسكناً لهم، وكانت أحياناً تقسم المدن بينهم وبين سكانها كما كان في حمص، أو إسكان المقاتلين في المدن الساحلية كما فعل معاوية رضي الله عنه باللاذقية وأنطرطوس ومرقية وبلنياس.[1]

ب- الموالي:

يطلق لفظ الموالي على الذين دخلوا الإسلام من غير العرب وعلى الحلفاء والمحاربين والعتقاء وطبقة الأرقاء حيث يكون الولاء الرابط الوثيق الذي يربطهم مع من والاهم، وقد كان للموالي شأن هام في الخلافة الأموية، فقد تقلدوا أعمالاً في الدولة مثل الحجابة والشرطة والحرس والعمل في الدواوين مثل ديوان الجند والعطاء وديوان الخراج وديوان الرسائل [2].

---

[1] البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، **فتوح البلدان**، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، (بيروت، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، د.ط، 1987م)، ص182.

[2] بالنور، إيمان علي: **دور الموالي في سقوط الدولة الأموية**، (بنغازي: منشورات جامعة قاريونس بنغازي ليبيا، ط1، 2008م)، ص81.

ج- أهل الذمة:

وهم الذين يعيشون في الدولة الإسلامية من اليهود والمسيحيين والمجوس، وتجري عليهم أحكام تسمى بأحكام أهل الذمة، وتؤخذ منهم الجزية مقابل الحماية والمنعة والتعهد بحماية أرواحهم وأموالهم وعقائدهم[12].

أما المسيحيون فقد اتسمت سياسة الخلفاء الأمويين بمعاملتهم بالرفق واللين والود في أكثر الأحيان، وذلك انطلاقاً من مبدأ ديني وهو أن المسيحية ديانة سماوية رغم ما اعتراها من انحراف وتبديل وتغيير ولكنها تبقى هي الأقرب إلى الإسلام من الديانات الأخرى إلى جانب اليهودية، ومبدأ دنيوي إذ أن معظم المسيحيين كانوا عرباً ويعتزون بانتمائهم القبلي والاعتصام بالمسيحية ديناً[13].

لذلك حرص خلفاء بني أمية على الحفاظ على علاقة ودية مع الرعايا المسيحيين وتمييزهم عن البيزنطيين بحيث حرص معاوية رضي الله عنه على إبقاء كنائسهم بناء على طلبهم وتمسكهم بها، فقد أمر معاوية رضي الله عنه بترميم كنيسة الرها التي تعرضت للدمار نتيجة الزلازل، ولم يصغِ إلى الدعوات التي دعت إلى ضم كنيسة يوحنا التي أبقاها لهم كما ذكرت آنفاً، ومن ثم أخذها الوليد بن عبد الملك وعوضهم بأربع كنائس بدلاً عنها كما تم الاتفاق بينهم[14].

---

[12] ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، **أحكام أهل الذمة**، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري (الدمام، رمادي للنشر، ط1، 1997م)، ج1، ص88.

[13] بالحاج صالح، سلوى: **المسيحية العربية وتطوراتها**، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 1997م)، ص168.

[14] خماش، نجدت: **الشام في صدر الإسلام**، (دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1978م)، ص131.

3- من الناحية الحضارية:

بعد انتشار الإسلام في ربوع بلاد الشام بدأت تظهر ملامح الحضارة الإسلامية في شتى جوانبها، وإن كانت ما زالت في بداياتها فقد وصلت ذروتها في العهد العباسي وتحديداً في القرن الثالث والرابع الميلاديين، وتظهر آثار الحضارة من خلال النقاط الآتية:

أ- الجانب السياسي والإداري:

- **الحكم:** أصبح الحكم وراثياً بعد تسلم معاوية رضي الله عنه الحكم وورثه لابنه يزيد من بعده، واستمر التوريث إلى أن سقطت الدولة الأموية على يد العباسيين، باستثناء اختيار مروان بن الحكم خليفة عام 64هـ، وما أقدم عليه سليمان بن عبد الملك من ترشيح الخليفة عمر بن عبد العزيز من بعده للخلافة عام 99هـ على أن تكون من بعده ليزيد بن عبد الملك، ومبايعة مروان بن محمد بالخلافة عام 127هـ بعد خلعه إبراهيم بن الوليد[15].

- **القضاء:** كان للقضاء دور مهم في إدارة الدولة وكانت تقرأ عهود القضاة في بداية تعيينهم في المسجد أولاً، ثم ينتقلون إلى دار الإمارة ليقرؤوا عهد القضاة أمام الأمير، وكان المسجد يعد داراً للقضاء وفيه تتم محاكمة المتقاضين[16].

- **الولاة:** استعان الخلفاء الأمويون بالولاة من أصحاب الرأي والمشورة لتعيينهم ولاة على الأمصار، واستعانوا بالأعوان من أقارب الخليفة، أو أن يتولى شخص غير مسلم مثلما ولى معاوية رضي الله عنه طبيبه المسيحي ابن أثال على حمص وقيل إنه كان رئيس الذمة بأرض

---

[1] الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج5، ص530، ج6، ص551، ج7، ص300.

[16] كرد علي، محمد: **الإسلام والحضارة العربية**، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي سي آي سي، د.ط، 2017م)، ص475.

حمص[17]، وكان الوالي مقيداً بأوامر الخليفة ويتصرف في ولايته بما يحقق المصلحة العامة وهو مسؤول أمام الخليفة في كل تصرفاته[18].

– **الشورى:** كان للشورى دور مهم عند خلفاء الدولة الأموية وكانت تنقسم إلى قسمين: أخذ مشورة أهل الرأي في الأمور والمصالح العامة وهو الأغلب، والشورى الخاصة بشأن الحكم[19].

ب– الجانب العلمي:

بعد استقرار البلاد التي شهدها الفتح الإسلامي بدأت تظهر المحاولات الإنتاجية في مجالات العلم المختلفة وكانت الأساس الذي اكتمل فيما بعد وخصوصاً في العصر العباسي الذي تميز بتفوق المسلمين في مجالات شتى انطلاقاً من الآيات القرآنية التي حثت على العلم، قال تعالى: ((يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)) (المجادلة: 11)، وسأذكر بعض الجوانب العلمية التي تميز بها العصر الأموي:

---

[17] ابن كثير: أبو الفداء اسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (د.م، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1997م)، ج11، ص174.

[18] الصلابي، علي، **الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار**، (بيروت، دار المعرفة، ط2، 2008م)، ج1، 304.

[19] المرجع السابق، ج1، ص195.

- **الترجمة والتعريب:**

يعرف التعريب بأنه نقل للنص من لغة أجنبية إلى اللغة العربية، والترجمة نقل للنص من لغة إلى أخرى، وفي العصر الأموي بدأت الترجمة والتعريب على يد خالد بن يزيد بن معاوية الذي قام بتعريب الكتب في علم الكيمياء[20]، وقد قام السريان بترجمة عدد كبير من المصنفات باللغة اليونانية إلى السريانية ثم العربية.

- **الطب:**

يعد الحارث بن كلدة الثقفي من أشهر أعلام الطب في عصره ولقب بطبيب العرب وعاش حتى خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وكان ابن أثال المسيحي طبيباً عند معاوية وكان خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة وقواها ويفرقها بحسب مضارها ومنافعها، وكذلك الطبيب عبد الملك بن أبجر الكناني الذي كان بصحبة الخليفة عمر بن عبد العزيز وقد أصبح طبيباً في مدرسة إنطاكية والإسكندرية، وغيرهم[21].

- **التربية:**

اهتم الأمويون بالتربية اهتماماً كبيراً فظهر المؤدب أي المشرف على تربية الأطفال وتأديبهم وتعليمهم القراءة والكتابة والقرآن والشعر والأدب والثقافة عموماً، وكان المؤدب إما أن يؤدي وظيفته في البيت الذي يتم تعيينه للإشراف عليه، أو في مدارس مخصصة تكون عادة

---

[20] أبو خليل، شوقي، **الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة**، (بيروت ودمشق، دار الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر دمشق، إعادة ط1، 2002م)، ص443.

[21] عبده، سمير، **دور المسيحيين في الحضارة العربية الإسلامية**، (دمشق، دار حسن ملص، ط1، 2005م)، ص67.

بجوار المسجد، وقد اتخذ الخلفاء الأمويون معلمين لأبنائهم وأحياناً يحضرون الدروس التي يلقيها المعلم ويسمحون له أيضاً باستخدام الضرب أحياناً أخرى[22].

ثانياً: سيرة يوحنا الدمشقي ومؤلفاته:

1- اسمه ومولده ونشأته:

ولد منصور بن سرجون بن منصور بن سرجون ويعرف بالقديس يوحنا الدمشقي في دمشق، واختلفت المصادر حول السنة التي ولد فيها يوحنا الدمشقي، قيل إنه ولد في حدود سنة 676م الموافق سنة 56هـ[23]، وقيل بأنه ولد ما بين 655-660م الموافق 35-40هـ وهو الأرجح[24]، وقد أوضح جوزف نصر الله بأن يوحنا كان يجالس يزيداً عندما تولى العرش عام 680م الموافق 60هـ.[25]

كانت أسرته تسكن في دمشق منذ ما قبل القرن السادس الميلادي وتدين بالمسيحية، وقد نفى واحد من الباحثين أن يكون أصل العائلة بيزنطياً بل هي أسرة عربية، من طائفة

---

[22] أبو النصر، عمر، **الحضارة الاموية العربية في دمشق**، (بيروت، مطبعة روطوس، د.ط، 1948م)، ص348 بتصرف.

[23] اليازجي، كمال: **يوحنا الدمشقي آراؤه اللاهوتية ومسائل علم الكلام**، (د.م، منشورات النور، د.ط، 1984م)، ص74.

[24] نصر الله، جوزف، **منصور بن سرجون المعروف بالقديس يوحنا الدمشقي**، ترجمة: أنطون هبي، (بيروت، منشورات المكتبة البولسية، ط1، 1991م)، ص81.

[25] المرجع السابق، ص81.

الملكيين[26]، وكان يتكلم يوحنا الآرامية والعربية واليونانية التي ألف بها مؤلفاته، ولقب بدفاق الذهب نظراً لفصاحة لسانه[27].

شغل جده منصور منصباً مالياً مهماً في ولاية دمشق وبعد مجيء هرقل أبقاه في منصبه، وبعد مجيء المسلمين إلى دمشق وحصارها لهم كان منصور هو من فاوض المسلمين على دخول دمشق باسم سكانها بعد اندحار الروم عنها[28]، أما والده سرجون فقد التقى بالأسقف قزما الكلبري وقد كان ضمن وفد من الأسرى الذين أسرهم المسلمون في إحدى غزواتهم وسيقوا إلى دمشق، فلما رآه سرجون أعجب به لما وجد فيه من التبحر في العلم والوعظ فلجأ إلى الخليفة يطلب عتقه فأجابه الخليفة إلى ذلك، واتخذه سرجون معلماً لابنه منصور ولابنه بالتبني قزما الذي أسماه على اسم الأسقف، ونهلا منه العلم والمعرفة والخطابة والفلسفة وشيء من العلوم الجدلية والهندسية وعلم الفلك والنجوم، وقد برعا فيها وأظهرا مقدرة كبيرة على غيرهما في السبق لدرجة أن أطلق على منصور لقب دفاق الذهب نسبة إلى نهر بردى الذي يروي دمشق مسقط رأسه بالخير[29]، وقد ورث سرجون من والده منصور المنصب المالي وأقره عليها الخليفة معاوية بن

---

[26] المرجع السابق، ص38، و Thomas, David and Roggema, Barbara, **Christian–Muslim Relations, A Bibliographical History**, (Leiden, Boston, Brill, 2009), V1 p295 والطائفة الملكية أو الملكانية هي طائفة مسيحية من مسيحيي سوريا ومصر قبلوا حكم مجمع خلقيدونية الذي يؤكد طبيعتي المسيح الإلهية والإنسانية، وهو مذهب الإمبراطور أو الملك البيزنطي فسموا ملكيين نسبة إليه. (ينظر: https://www.britannica.com/topic/Melchites)

[27] حتي، فيليب، **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**، (بيروت، دار الثقافة، ط1، 1959م)، ج2، ص116.

[28] رستم، أسد، **كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى**، (المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي، ط1، 2021م)، ج2، ص76.

[29] نصر الله، جوزف، **منصور بن سرجون المعروف بالقديس يوحنا الدمشقي**، ص167.

أبي سفيان نظراً لخبرتهم الكبيرة في هذا المجال، وبعد وفاته استلم منه ابنه منصور هذا المنصب[30] إلى أن نحي عنه.

وبلغت العلاقات بين أسرة منصور وبين الأمويين ذروتها إلى أن تسلم عبد الملك بن مروان الحكم سنة 65 هجرية، وقام بتعريب الدواوين وكان الهدف من ذلك اعتماد اللغة العربية لغة رسمية في البلاد، لتصبح لغة الدولة ولغة الثقافة والتواصل في كل أنحاء الدولة، وكانت هذه البذرة الأولى التي انتهجتها الدولة من أجل الاعتماد على أبنائها العرب بدلاً من الفرس والروم واليونان وغيرهم، ثم تطور الأمر إلى أن تم إحلال المسلمين في المناصب التي سلمت إلى غيرهم من النصارى واليهود والفرس.

لا تتوفر معلومات وافية حول نشأة يوحنا في صباه سوى أنه كان يحضر مجلس يزيد (الخليفة فيما بعد) برفقة الشاعر الأخطل يتبادلان الأحاديث والأشعار الأدبية، وقد أوصى أبوه سرجون الراهب قزما بأن يشرف على تعليم ابنه يوحنا وابنه بالتبني قزما المسمى على اسم الراهب[31].

تسلم يوحنا منصبه خلفاً لأبيه سرجون ولكن من الصعب تحديد ماهية هذا المنصب بدقة إذ اختلفت المصادر حول هذا المنصب، ولا شك أنه كان منصباً إدارياً مالياً، يقول ميخائل الراهب واضع سيرة يوحنا: "وبعد وفاة والد يوحنا صار ابنه يوحنا كاتب يد أمير دمشق"[32]،

---

[30] اليازجي، كمال: **يوحنا الدمشقي آراؤه اللاهوتية ومسائل علم الكلام**، ص36.

[31] المرجع السابق، ص36.

[32] المرجع السابق، ص36.

ويذكر الجهشياري بأن سرجون كان يكتب لمعاوية ديوان الخراج، وبقي في منصبه حتى عزله عبد الملك بن مروان[33]، وقيل الوليد أو عمر بن عبد العزيز[34].

بعد إقصائه من منصبه توجه يوحنا إلى دير القديس سابا بمرافقة قزما الذي تربى معه منذ صغره قاصدين حياة الرهبة والعلم والمعرفة، وأعطي اسماً جديداً هو يوحنا، ففي الدير يتم اتباع التقليد الكنسي بأن يتم إعطاء اسم أحد القديسين على من يلتحق بالرهبنة إضافة إلى مقر ولادته ونسبه فأصبح اسمه يوحنا الدمشقي[35]، وفيها سلك يوحنا مسلك الرهبان واستدعاه بطريرك بيت المقدس في حدود سنة 726م الموافق 107هـ، ورسمه قسيساً كاهناً للخدمة في بيت المقدس[36] نظراً لجهوده في الدفاع عن العقيدة المسيحية، ولكن يوحنا بقي في الدير وأصبح يؤلف كتبه ويدافع عن عقيدته ويصنف الردود ويؤلف الأناشيد الكنسية إلى أن توفي فيها بين سنة 742م إلى سنة 750م الموافق 132هـ.[37]

2- مؤلفاته:

من خلال تتبع سيرة يوحنا الدمشقي يظهر أنه كتب مؤلفاته بعد أن اعتزل الحياة الوظيفية وأصبح راهباً في دير سابا، حيث تفرغ للعبادة وللتأليف مدافعاً عن العقيدة المسيحية ضد الهرطقات كما أسماها، وهذه قائمة بأسماء بعض كتبه:

---

[33] الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس، **الوزراء والكتاب**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، (القاهرة، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1938م)، ص24، ص40.

[34] Thomas, David and Roggema, Barbara, **Christian-Muslim Relations**, V1 P295

[35] اليازجي، كمال: **يوحنا الدمشقي آراؤه اللاهوتية ومسائل علم الكلام**، ص82.

[36] المرجع السابق، ص82.

[37] نصر الله، جوزف، **منصور بن سرجون المعروف بالقديس يوحنا الدمشقي**، ص160.

1- كتاب ينبوع المعرفة:

يعد هذا الكتاب من أشهر الكتب التي ألفها يوحنا وهو يحوي ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: فصول فلسفية:

وفيه يتحدث عن آراء علماء الكنيسة الفلسفية والمنطقية، وتحديد بعض المصطلحات اللاهوتية مثل شخص، أقنوم، طبيعة.. إلخ[38].

- الفصل الثاني: كتاب الهرطقات:

يتناول يوحنا في هذا الفصل مئة وثلاثة طائفة أو ديانة تعد هرطقة أي خارجة عن تعاليم الدين المسيحي تعد تعاليم زائفة، وقد أفرد الفصل المائة وواحد للإسلام تحت عنوان (The Ishmaelites)[39]، أي الإسماعيليون.

- الفصل الثالث: في الإيمان المسيحي الأرثوذكسي:

وفي هذا الفصل يسرد يوحنا المعتقد المسيحي في مواضيع كثيرة مثل: الإله الواحد والتثليث المكونة من الأقانيم الثلاثة، والحديث عن مخلوقات الله كالملائكة والشياطين والخلق والماء والهواء وغيرها، وكذلك الحديث عن سر التدبير الإلهي وسر الخلاص والتجسيد الإلهي وافتدائه البشرية عن الخطيئة، والمعمودية والقيامة والصليب والسجود وأسرار الرب[40].

---

[38] The Fathers of The Church ST. John of Damascus Writings, Translated by Frederic H. Chase, JR, (The Catholic University of America press, Washington D.C, first short-run reprint 1999) p7.

[39] المرجع السابق، ص153.

[40] الدمشقي، يوحنا: **المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي**، تعريب: أدريانوس شكور، (بيروت، منشورات المكتبة البولسية، ط1، 1984م)، ص13.

2- ثلاث مقالات للدفاع عن الأيقونات المقدسة:

وضع يوحنا هذا الكتاب بعد أن منع الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث الإيساوري[41] تكريم الأيقونات والسجود لها واعتبرها عادة وثنية يجب أن تمحى من العقيدة المسيحية وأصدر مرسوماً بذلك، وفي هذا الكتاب يقدم يوحنا دفاعاً عن الأيقونات بأنها ليست سوى صورة للإله الذي تجسد وتراءى على الأرض في جسده وعاش بين الناس بصلاحه غير الموصوف واتخذ طبيعة الجسد وكثافته وشكله ولونه[(42)]، وبهذا الدفاع ازدادت مكانة يوحنا في نظر الكنيسة واللاهوتيين حتى نعتوه بالملفان الممتاز – أي الأب المعلم –، وتم تكريمه في المجمع المسكوني السابع في سنة 787 ميلادي الموافق 170 هجري والاعتراف بقداسته وفضله الكبير في الدفاع عن الأيقونات.

3- مناقشة بين مسلم ومسيحي:

مقالة على شكل سؤال وجواب يرد فيها يوحنا على عقيدة المسلمين في القضاء والقدر، ويدافع عن عقيدة التجسد، وقد طبعت بهامش كتاب الهرطقة المئة النسخة العربية، وقد أثير الشك حول نسبة هذه المقالة إلى يوحنا الدمشقي، يقول الكاتب الفرنسي (Raymond Le Coz): "نسبة الهرطقة 100 والمجادلة مع مسلم ونصراني ليست محل إجماع، فقد رد جماعة منهم صحة تلك النسبة وقدموا حججاً قوية لتأييد شكهم ذاك"[43].

---

[41] الإمبراطور ليو الثالث الإيساوري (Leo III the Isaurian) (680/675 -741م): حكم ما بين 717-741م وعرف بمحاربته للأيقونات المقدسة، وقام بصد ثاني هجوم للمسلمين على القسطنطينية. (ينظر: https://www.britannica.com/biography/Leo-III)

[(42)] الدمشقي، يوحنا، **الدفاع عن الأيقونات المقدسة**، (د.م، د.ن، د.ط، 1997م)، ص19.

[43] Raymond Le Coz, Jean Damascène Écrits sur l'Islam, Les éditions du cerf, 29, Bd De Latour-Maubourg, Paris 7, 1992, p: 183

الفصل الأول: موقف يوحنا الدمشقي من الإسلام وأصوله:

ذكرت في الفصل السابق أن يوحنا الدمشقي غادر حياته الوظيفية واتجه إلى دير سابا ليتفرغ للعبادة والعلم والدفاع عن عقيدته المسيحية والرد على الهرطقات – كما سماها – التي شكلت خطراً على المسيحية، ولا سيما الدين الإسلامي الذي جاء وانتشر كالنار في الهشيم وتوسع عبر الفتوحات والدعوة إليه وشمل العديد من الديار التي كانت المسيحية تسيطر عليها، مما جعل يوحنا الدمشقي يهاجم الإسلام بعد أن عاش في كنفه مدة طويلة، وفي هذا الفصل سأتكلم عن موقفه من الإسلام وأصوله معتمداً على كتابه (الهرطقة المئة) بنسخته العربية وفي بعض المواضع سأعتمد على النسخة الإنجليزية كما يأتي:

1- كتاب الهرطقة المئة، بدون ذكر اسم معرب الكتاب، من منشورات النور، س1997، بدون رقم طبعة، وسأسميها في البحث بالنسخة العربية.

2- كتاب: (The Fathers of The Church ST. John of Damascus Writings) من إصدارات الجامعة الكاثوليكية الأمريكية واشنطن، وسأسميها خلال البحث بالطبعة الإنجليزية.

المبحث الأول: موقف يوحنا الدمشقي من الإسلام والمسلمين والقرآن الكريم:

كانت علاقة عائلة يوحنا الدمشقي بالخلفاء الأمويين وثيقة وقد منحوا درجة رفيعة في الدولة وتسلم يوحنا منصبه المالي خلفاً لوالده وتقرب من الخليفة وأصبح من رواد مجلسه، ولكن

الأمر لم يدم له حيث عزل عن منصبه، أو كما تذكر المصادر المسيحية أنه آثر ترك الوظيفة وتوجه إلى دير مار سابا ليخدم الكنيسة، ولكن إذا افترضنا صحة قول أنه اعتزل الوظيفة وآثر العلم عليها فلماذا تهجم في كتاباته على الإسلام والمسلمين؟ ولم ينقل الحقيقة التي عاش في كنفها مع عائلته سنوات طويلة، بل نقل صورة سيئة عن الإسلام وعن النبي محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمين في كتاباته ليتداولها الغرب من بعده إلى يومنا هذا، ولاسيما كان شاهد عيان على انتشار الإسلام في ربوع البلاد وإقبال الناس عليه واعتناقه، كل هذا ولّد في نفسه كرهاً تجاه الإسلام دفعه إلى وضع هذه الآراء التي جانبها الصواب.

وفي هذا المبحث سأناقش الآراء التي ذكرها يوحنا في كتابه عن الإسلام تحت اسم ديانة الإسماعيليين، مع العلم أن الفصول والعناوين من وضع المعرب.

المطلب الأول: موقف يوحنا الدمشقي من الإسلام والمسلمين:

الفرع الأول: ديانة الإسماعيليين:

بدأ يوحنا في كتابه بالحديث عن المسلمين [44] قائلاً: "هنالك أيضاً ديانة الإسماعيليين التي لا تزال تسيطر في أيامنا وتستميل الشعوب معلنة مجيء المسيح الدجال"[45]، وفي الطبعة الإنجليزية ذكر (superstition of the Ishmaelites) أي خرافة الإسماعيليين، وترجمها المعرب إلى ديانة الإسماعيليين ربما تخفيفاً على القارئ المسلم!.

---

[44] لا يستخدم يوحنا مصطلح مسلمون وإسلام في كتابه وإنما هو من وضع المعرب.

[45] الدمشقي، يوحنا، **الهرطقة المئة**، (د.م، د.ن، د.ط، 1997م)، ص49.

حرص يوحنا على إطلاق لفظة خرافة وهرطقة على الإسلام تأسيساً منه لبناء موقف مسبق لكل مسيحي تجاه الإسلام باعتباره هرطقة أي خروجاً عن تعاليم الدين المسيحي القويم، مما يعني الحكم عليه بالحرمان والهلاك السريع، فمصير الإسلام بحسب يوحنا هو الهلاك السريع باعتباره هرطقة كما ادعى، ويظهر من النص حساسية يوحنا تجاه الإسلام فقد كتب (لا تزال تسيطر في أيامنا) وفي الطبعة الإنجليزية هناك تكملة (which to this day prevails and keep people in error)[46] والتي تظهر بوضوح حقده على الإسلام بسبب سيطرته على البلاد، وبمجيء الإسلام فإنه يقترب خروج المسيح الدجال (Antichrist) باعتباره دين التمرد على المسيحية.

ويقول: "إنها تتخذ أصلها من إسماعيل بن إبراهيم وهاجر، ولهذا السبب يدعونهم الهاجريين أو الإسماعيليين، كما يدعونهم ساريين، أي الذين جردتهم سارة (من الميراث)، فهاجر قد أجابت الملاك في الواقع قائلة: إن سارة قد طردتني مجردة"[47].

في هذا النص يحاول يوحنا أن يثبت أن المسلمين من نسل إسماعيل بن إبراهيم وهاجر وأنهم لا قيمة لهم لأن سارة قد حرمت هاجر وابنها من الميراث بفعلها، ويستشهد بنص من سفر التكوين بأن هاجر أخبرت الملاك بأن سارة طردتها مجردة – كذا في النسخة المعرب–، وفي النسخة الإنجليزية: (destitute) أي طردتها معدمة فقيرة محرومة، وبالتالي تم الحكم عليها وعلى نسلها بذلك، ولا يحق للمسلمين من نسل هاجر أن يطالبوا بأي حق أو يتزعموا لأنهم في عداد المعدمين المطرودين.

---

[46] ST. John of Damascus Writings, p153

[47] الدمشقي، يوحنا، **الهرطقة المئة**، ص49.

وتفصيل ذلك ما ورد في سفر التكوين من قصة هاجر وسارة ووعد الرب لهاجر بأن يكثر من نسلها من ولدها إسماعيل ويجعلهم أمة عظيمة[48].

يطلق يوحنا على المسلمين لفظ: ساريين –كذا بحسب المعرب، وفي النسخة الإنجليزية: (Saracens) أي السارسين، وقد تعددت تعريفات هذا المصطلح باليونانية (saraceni) وباللاتينية (saracenus) ولكنها في مجملها تشير إلى جماعة أو قبائل عربية، فقد أطلقتها السلطات الرومانية على القبائل العربية المتاخمة للحدود الرومانية في مناطق مصر وفلسطين وسوريا، ومن ثم استخدم الكتاب الأوروبيون اللقب ليشمل القبائل العربية جميعاً بعد انتشار الخلافة الإسلامية، وتطور الأمر وأصبح يطلق على كل المسلمين[49]، والمراد من الكلمة التحقير والمهانة، فقد قيل بأنها مشتقة من كلمتي سارة وقين، أي عبيد سارة[50]، وقيل مشتقة من سرق أي ساركين أو سارقين، لما عرف عنهم الغزو وكثرة السرقة والسطو[51].

الفرع الثاني: الوثنية:

---

[48] العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح: 16، الفقرة: 1–15، والإصحاح: 21، الفقرة: 9–18.

[49] موسوعة https://www.britannica.com/topic/Saracen لفظة Saracen

[50] ينظر: المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين: **التنبيه والإشراف**، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2009م)، ص147.

[51] علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، (بيروت، دار الساقي، ط4، 2001م)، ج1، ص24 بتصرف.

يكمل يوحنا قائلاً: "لقد كانوا وثنيين وكانوا يعبدون نجمة الصبح والزهرة التي كانوا يدعونها (خبار) في لغتهم على وجه التحديد، والتي تعني عظيمة، وهكذا كانوا يزاولون عبادة الأوثان علناً حتى عهد هرقليوس".[52]

في هذا النص يحاول يوحنا أن يبين للقارئ الخلفية التاريخية للمسلمين، محاولاً ذم الأصل العربي للمسلمين، فيصفهم بأنهم وثنيون يعبدون نجمة الصبح والزهرة والتي يسمونها خبار، وفي الطبعة الإنجليزية (KHABAR) والتي تعني بزعمه عظيمة (Great)، ولا أدري كيف ربط يوحنا بين كلمة خبار ومعنى عظيمة، وفي كتب اللغة نجد من معاني كلمة خبار: ما لان من الأرض واسترخى، والخبار أرض رخوة تتعت فيها الدواب، والخبار التراب المجتمع بأصول الشجر، والخبار جحرة الجرذان، ومنها جاء المثل: من تجنب الخبار أمن العثار[53].

يهدف يوحنا إلى نسبة المسلمين إلى الوثنية وأنهم يقدسون نجمة الصباح التي كان الرومان يعبدونها منذ زمن طويل، ويعدونها آلهة الحب والعشق وعبدوا آلهة الشهوة والجنس أفروديت (Aphrodite)[54]، ونسبتهم إلى الشهوة والجنس تمهيداً لتهيئة الجو المناسب له ولمن يأتي من بعده لنسج الصور الشهوانية والجنسية عن العرب المسلمين، حتى ظهرت في العديد من الكتابات الغربية التي تشير إلى ذلك، ووصل الأمر إلى تأثر بعض الكتاب المسلمين بهم!، مثل

---

[52] الدمشقي، يوحنا، **الهرطقة المئة**، ص49

[53] الزبيدي، محمد مرتضى، **تاج العروش من جواهر القاموس**، (الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء، نشر خلال 1965-2001م)، ج11، ص127.

[54] كما وردت في الطبعة الإنجليزية ص153.

الروائي نجيب محفوظ الذي رسم في روايته المثيرة للجدل (أولاد حارتنا) صورة جنسية وشهوانية لشخصية قاسم، الذي يرمز إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم.[55]

هذا الهجوم الذي يشنه يوحنا على الإسلام والمسلمين ينعكس على أتباعه ومحبيه فقد ذكر معرب كتاب الهرطقة في المقدمة متأثراً بمعلمه يوحنا: "فإذا ما استهزأنا بالضلال فهذا لا يعني على الإطلاق بأنا نستهزئ بالضال[56]". والضلال هنا يقصد الإسلام والضال يقصد المسلم، الذي يراه بأنه يدعي أنه هو وحده على حق فيما يعتقده، ثم يكمل: "فاحترامنا للمسلم يتحقق بمعزل عن ذهنيته وعقيدته، ولا نعامله البتة بالمثل، وذلك لأننا حريصون أشد الحرص على خلاصه باهتدائه إلى المخلص فينا[57]"، وهذا ادعاء غير صحيح إذ لو كان صحيحاً لما ترجم معرب هذا الكتاب من أساسه! لما يحويه من معلومات مغلوطة وآراء تعبر عن كره وحقد شديد للإسلام بإلصاق صفة الضلال به.

ويزعم المعرب قائلاً عن يوحنا: بل إن وضع عائلته الرسمي والصداقات الشخصية التي عقدها مع المسؤولين في الحكم هي التي سمحت له بأن يعرف هذا الدين[58]. وهذه مبالغة إذ لم يكن يوحنا سوى موظفاً بقي في وظيفته إلى أن تم عزله وعندما رحل إلى دير سابا ظهرت نواياه تجاه الإسلام والمسلمين ووضع هذه الآراء التي تعبر عن كرهه وحقده الشديدين لما رآه من تحقيق المسلمين للانتصارات وانتشاره السريع بين الأمم، فإذا كان على علاقة مع المسؤولين فلماذا لم

---

[55] انظر: محفوظ، نجيب، **أولاد حارتنا**، (القاهرة، دار الشروق، ط13، 2014م)، ص355 وما بعدها.

[56] الدمشقي، يوحنا، **الهرطقة المئة**، ص10.

[57] المرجع السابق، ص10.

[58] المرجع السابق، ص40.

يكتب كتابه هذا وهو على رأس وظيفته! ولكنه احتفظ بأفكاره لنفسه إلى أن حانت اللحظة المناسبة وهو في دير سابا بعد أن رسم راهباً وبثها في مؤلفاته، وقد كان يدعو ويرتل في الدير أثناء صلاته للإمبراطور المسيحي البيزنطي بالنصر على الأعداء متمنياً من خلال شفاعة ثيوتوكوس (أي والدة الإله) أن يسحق الإمبراطور أمة البرابرة (أي المسلمين) بقدميه، يقول: إنهم شعب الإسماعيليين الذي يحاربون ضدنا[59].

فكيف نوفق بين هذه السخرية والحقد الشديد من يوحنا والادعاء من مؤيديه بأنه كان يكن الاحترام للإسلام والمسلمين وهو رائد حوار!

المطلب الثاني: موقف يوحنا الدمشقي من القرآن الكريم:

يعد القرآن الكريم المصدر التشريعي الأول في الإسلام وهو الأساس والمرجع بالنسبة للمصادر الأخرى، وهو منبع الأحكام لهذا الدين الإسلامي، وكان للقرآن نصيب كبير من الهجوم الذي شنه يوحنا على الإسلام وأصوله، يقول مستهزئاً: كان يلمح –أي النبي محمد–بأن كتاباً آتياً من السماء قد أوحي به إليه من الله، وفي إنشائه لبعض المعتقدات المثيرة للضحك في كتابه، نقل إليهم هذه الطريقة في عبادة الله[60].

يبتدأ يوحنا الحديث عن القرآن بسخرية وأنه من ادعاء النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – بأن كتاباً من السماء أوحي إليه، وهذا الكتاب يحوي بعض المعتقدات المثيرة للضحك،

---

[59] منصور، طارق: **المسلمون في الفكر المسيحي العصر الوسيط**، (القاهرة، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2008م)، ص82.

[60] المرجع السابق، ص50.

وهو بهذا يمهد الطريق لقارئ كتابه برسم صورة مليئة بالسخرية من القرآن الكريم وتشويه ما فيه من أحكام وتعليمات وأوامر ونواهٍ وقصص وأحداث تاريخية وحاضرة ومستقبلية، وبما أنه كتب كتابه بلغة غير عربية –باللغة اليونانية– فإنه يخاطب قراءه عن كتاب ليس مكتوباً بلغتهم فبالتالي يصبح المجال أمامه واسعاً كي يهاجمه ويسخر منه، بغية تشويه صورة القرآن وصرف الأنظار عنه كي لا يدخل أحد الإسلام متأثراً بالقرآن الكريم كما حدث مع عدد كبير من مسيحيي الشام الذين دخل الإسلام قلوبهم وأسلموا وحسن إسلامهم وملأ قلوبهم خشوعاً وإيماناً، قال تعالى: ((الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ)) (البقرة: 146) ، وقوله تعالى: ((وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ)) (المائدة 82–83).

الفرع الأول: اللاهوت القرآني:

وتحت عنوان (اللاهوت القرآني)[61] يبدأ في وضع بعض المعتقدات المذكورة في القرآن وهي:

1– يوجد إله واحد لكل الأشياء، وأنه لم يولد ولم يلد.

2– المسيح هو كلمة الله وروحه، وهو مخلوق وعبد ولد دونما زرع من مريم أخت موسى وهارون، وأن كلمة الله وروحه دخلا مريم وولدا يسوع الذي كان نبياً وعبداً لله.

---

[61] العنوان من وضع المعرب.

3- أراد اليهود تعليق يسوع على الصليب ولكن لم يصلبوا سوى خياله، وأن المسيح نفسه لم يحتمل الصليب ولا الموت، بل أخذه الله إلى جواره في السماء إذ كان يحبه فعلاً.

4- سأل الله يسوع هل قال أنه ابن الله وأنه الله، أنكر يسوع ذلك وقال بأن الناس الكفار كتبوا ذلك عنه، وقد صدقه الله قائلاً: إنني أعلم بأنك لم تقل هذا الكلام[62].

- هل ما كتبه يوحنا من معتقدات وردت في القرآن الكريم فعلاً؟

ورد في القرآن الكريم سورة كاملة هي سورة الإخلاص لتثبت توحيد الله سبحانه وتعالى وأنه صمد لم يلد ولم يولد، يقول تعالى جل جلاله: ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)) (الإخلاص: 1-4)، وقوله تعالى: ((إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ)) (النساء: 171)، وهذا إثبات أن عيسى رسول الله وعبده، خلقه من كلمته التي أرسل بها جبريل إلى مريم وهي قولة (كن) وهي نفخة من الله تعالى نفخها جبريل بأمر الله[63]، ويقول تعالى: ((إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ)) (الزخرف: 59) ، أي أن عيسى ما هو إلا عبد أنعم الله عليه بالنبوة والتوفيق والإيمان، وجعله الله بوجوده من غير أب مثلا لقومه من بني إسرائيل، وحجة عليهم للدعاء إلى الله[64].

وقوله تعالى: ((يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا)) (مريم: 28)، ومعنى يا أخت هارون أي يا شبيهة هارون في العبادة لأنه كان من أهل الصلاح، وليس

---

[62] الدمشقي، يوحنا، **الهرطقة المئة**، ص51.

[63] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (د.م، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 2001م)، ج7، ص703.

[64] المصدر السابق، ج20، ص629.

معناها بأنها أخت هارون أخي موسى من أمه وأبيه[65]، ولم تذكر الآية اسم موسى كما ذكر يوحنا.

وأما قوله: وأن كلمة الله وروحه دخلا مريم وولدا يسوع الذي كان نبياً وعبداً لله، هكذا في نسخة المعرب، أما في النسخة الإنجليزية فقد وردت هكذا: (The Word and God and The Spirit entered into Mary and she brought forth Jesus)[66] ، أي أن الكلمة والله والروح القدس دخلا في مريم وقد ولدت يسوع، أي أنه ولد من خلال الكلمة (أقنوم الابن) والله (أقنوم الآب) وأقنوم الروح القدس، وهذا هو التثليث الذي يعتنقه يوحنا، أما في القرآن فلا يوجد تثليث وإنما توحيد لله سبحانه وتعالى بالعبادة، وأن المسيح هو عبد الله ورسوله مقراً ذلك بنفسه، قال تعالى: ((قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا)) (مريم: 30).

فإذا كان استناد يوحنا في ولادة المسيح بقوله بأنه ولد من الكلمة والله والروح القدس إلى قوله تعالى: ((إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ)) (النساء: 171) ، فهذا جهل منه باللغة العربية والآية الكريمة التي تثبت بأن المسيح هو عبد من عباد الله وخلق من خلقه، قال الله: كن فكان، وخلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام فنفخ فيها من روحه بإذن الله فكان أن ولد عيسى، قال تعالى: ((إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)) (آل عمران: 59) ، أي ليس الكلمة صارت عيسى،

---

[65] المصدر السابق، م15، ص522.

[66] Saint John of Damascus Writings, P154.

ولكن بالكلمة صار عيسى، فكلمة كن تفيد بأنه كائن ما كونه ابتداء من غير أصل ولا أول ولا عنصر[67].

أما مسألة صلب المسيح فقد ورد في القرآن الكريم خلاف ما يعتقده المسيحيون –بعد التحريف– يقول تعالى: ((وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ۚ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)) (النساء: 157– 158)، أي أن عيسى عليه السلام لم يصلب وإنما شبه لهم، ورفعه الله إليه وسينزل في آخر الزمان، وقد ورد في صحيح البخاري مما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها» ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ((وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا)) (النساء: 159)[68].

ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ((وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ

---

[67] الطبري، **جامع البيان**، ج5، ص463.

[68] أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب الأنبياء، باب: نزول عيسى بن مريم عليهما السلام، ج3، ص1272، رقم: (3264).

الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)) (المائدة: 116-117) ، فالآيات توضح بأن عيسى عليه السلام دعا إلى عبادة الله الواحد الأحد مؤكداً عليهم بأن الله ربه وربهم، مفنداً مقالتهم في التثليث الذي وضع من بعد رفعه وتبنته الكنيسة إلى يومنا هذا.

الفرع الثاني: ناقة الله:

كتب يوحنا عن السورة التي تتحدث عن ناقة الله ولم يحدد ما اسم السورة وإنما اكتفى بذكر سورة ناقة الله (The Book of The Camel of God)[69] يقول: إن ناقة أرسلها الله وإنها شربت النهر كله فلم تستطع من ثم العبور في ما بين الجبلين لانعدام المسافة الكافية لذلك، وكان ثمة قوم في ذاك الموقع كما يقول: وفي أحد الأيام شرب هو من الماء ثم تبعته الناقة، وعندما شربت الماء صارت تغذيهم باللبن بدلاً من الماء، أما هؤلاء الرجال فكانوا خبثاء في رأيه إذ قاموا وقتلوا الناقة، والحال أن كان لديها ناقة صغيرة صرخت إلى الله بعد موت والدتها بحسب زعمه والله أخذها إلى جواره[70].

ثم يطرح يوحنا أسئلة استنكارية وكأنه يحاور المسلمين قائلاً: من أين أتت هذه الناقة؟ ألعل جملاً تزاوج معها؟ كيف أنجبت صغيرتها؟ أين كانت ترعى؟ من هم الذين كانوا يحلبونها ليشربوا اللبن؟ أو قتلت ربما بالتقائها هي أيضاً مع أناس خبثاء نظير والدتها؟ ثم إنكم تقولون فعلاً بأن ثلاثة أنهار تجري في جنتكم: واحد من الماء، وآخر من الخمرة، وآخر من اللبن... وكيف أنه لم يهتم بالناقة وبمعرفة مقر سكناها الآن؟ بل لم تسألوه عن ذلك حتى عندما أعلمكم عن

---

[69] Saint John of Damascus Writings, P158 وما تليها من اقتباسات باللغة الإنجليزية من ذات الصفحة .

[70] الدمشقي، يوحنا، **الهرطقة المئة**، ص58.

الأنهار الثلاثة بالتفصيل في الحلم، أما أنتم فإننا نعلن لكم بوضوح أن ناقتكم الخارقة قد سبقتكم إلى نفوس الحمير، إلى حيث أنتم موشكون على الولوج بدوركم كالبهائم، هنا الظلمة البرانية، والعذاب الأبدي، والنار التي لا تنطفئ، والدود الذي لا ينام، وشياطين جهنم.[71]

يتضح من خلال كلام يوحنا بأنه لم يقرأ جيداً عما يكتبه أو أنه سمع قصة الناقة من أحدهم فأطلق العنان لخياله وكتب ما كتبه وفقاً لأهوائه، ولا توجد سورة في القرآن الكريم اسمها ناقة الله وإنما وردت قصة الناقة في القرآن الكريم[72]، وهي التي جعلها الله آية ومعجزة لقوم ثمود الذين أرسل الله إليهم بنبيه صالح عليه السلام ولكنهم كذبوه فحق عليهم العذاب، ولم يقرأ يوحنا قصة الناقة من القرآن الكريم أو أنه تقصد التشويه، حتى أننا نجد في النسخة الإنجليزية تعقيباً في الهامش رقم 112 بعد أن كتب سورة ناقة الله (Not in the Koran) أي ليس في القرآن، فمن أين جاء بهذه التفاصيل؟ ونسبها إلى القرآن الكريم!.

يستخدم يوحنا كلمة هو أو كما في النسخة الإنجليزية (He) في إشارة إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأنه كتب سورة ناقة الله ثم يمضي في كلامه ويستخدم ذات الكلمة (هو) في حديثه عن الناقة! وهذا جهل شديد منه بالقصة برمتها إذ أنه يحسب بأن القصة حدثت مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم!، ويشير إلى الأنهار الثلاثة التي ذكرت في القرآن الكريم –كنوع من السخرية– وعن مصير الناقة التي لا يعلم محمد مصيرها! فهي إن كانت في الجنة فإنها ستنهي الأنهار الثلاثة ولن تبقي شيئاً للمسلمين فيجفون من العطش وهم في وسط جنة النعيم! وإن كانت

---

[71] المرجع السابق، ص58–60.

[72] ينظر على سبيل المثال لا الحصر: سورة الأعراف، آية 73، وسورة هود: آية 64،

خارج الجنة فإن مصيرها أن تجف من الجوع والعطش! ثم يفحش في القول عن المسلمين ويصفهم بالبهائم ويوعدهم بالعذاب الأبدي والنار لا تنطفئ!

يوصف هذا الكلام بأنه بالغ الحدة وليس من المفترض أن تصدر من قديس عاش بين المسلمين سنوات طوال ثم فارقهم وانقلب عليهم ووصفهم بأبشع الكلام، حتى أن المعرب أثناء تعريبه لكلام يوحنا قدم تعقيباً حاول فيه أن يلطف شيئاً من حدة الهجوم وأن يبرر للمسلمين أن يوحنا لم يقصد أن يسيء إلى المسلمين ولكن غيرته وحرصه الشديد أن يرتدعوا من ضلالهم ويخلصوا في معرفة الحق وأن ينالهم الخلاص! وهو –أي يوحنا– محب صادق في محبته العطوف! كيف يستقيم أن تدعوا أناس إلى معرفة الحق وأنت تصفهم بالبهائم وتعدهم بالنار والعذاب الأبدي وأنت المحب العطوف!.

أثبت يوحنا من خلال كلامه هذا أنه لم يقرأ القرآن قراءة صادقة لكي يقدم نقداً له على أساس موضوعي يمكن أن يفيد المسيحيين من أبناء عصره ومن بعده من الأجيال، ولكنه كتب كلامه مشحوناً بالحقد الشديد على القرآن وحركته الأهواء والنوايا الخبيثة ووصف المسلمين بأبشع الأوصاف وهذا جعله رائداً للعنف والكراهية وكتاباته تصنف ضمن الأسباب المعوقة للحوار الصادق بين المسلمين والمسيحيين.

ولا ينبغي لمن وصل إلى مرتبة القداسة أن يستخدم الكلام الفاحش والبذيء في كتاباته وخطاباته، فالقديس عند المسيحيين هو الإنسان المخصص للرب أي أنه يعيش حياة الإنجيل ويترك عنه شهوات الدنيا وملذاتها ويصبح ملكاً لله ويتحلى بالفضائل ويترك عنه الرذائل، كما ورد في إنجيل متى على لسان المسيح: وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم. (متى الإصحاح الخامس 44) لم يلتزم

يوحنا بوصية المسيح وإنما استخدم كلمات يأنف عنها السامع ويمتعض القارئ لمجرد قراءتها فقط، فكيف تصدر كلمات مثل: نفوس الحمير، بهائم، من شخص وصل مرحلة القداسة!.

الفرع الثالث: سورة المائدة:

يقول يوحنا: "قال محمد أيضاً سورة المائدة – وفي النسخة الإنجليزية (The Book of The Table) – وفيها يقول إن المسيح طلب إلى الله مائدة فمنحت له، وقد أجابه الله بحسب زعمه قائلاً: لقد منحتك وأخصاءك مائدة لا يعتريها فساد".[73]

في إشارة منه إلى الآية القرآنية من سورة المائدة، يقول تعالى: ((قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ)) (المائدة: 114–115) ، ولم يعقب بأي تفسير وإنما اكتفى بأن نسب كتابة السورة إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع إضافة عبارة لا يعتريها فساد من عنده.

الفرع الرابع: سورة البقرة:

يقول يوحنا: "وقال أيضاً سورة البقرة – وفي النسخة الإنجليزية (The Book of The Heifer) – وعبارات أخرى مثيرة للضحك، والتي أعتقد أنه من الواجب إهمالها بسبب كثرتها"[74].

---

[73] الدمشقي، يوحنا، **الهرطقة المئة**، ص60.

[74] المرجع السابق.

استخدم المعرب كلمة البقرة في ترجمة كلام يوحنا لمعرفته بأن الاسم الصحيح للسورة هو سورة البقرة، ولكن في النسخة الإنجليزية نجد لفظة (The Heifer)[75] أي العجل، وهذه سخرية من اسم السورة التي يعتقد بأنها تحوي الكثير من العبارات المثيرة للضحك!.

لسورة البقرة فضل عظيم وخير كثير، فهي السورة الثانية ترتيباً في القرآن الكريم بعد الفاتحة، ولقراءتها وحفظها فضل كبير فقد قال صلى الله عليه وسلم: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[76]، وغيرها من الفضائل العظيمة لهذه السورة.

المبحث الثاني: موقف يوحنا الدمشقي من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم:

بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليحمل رسالة الإسلام إلى البشرية جمعاء، وكان خاتم الأنبياء والمرسلين ورسالته هي الرسالة السماوية الأخيرة والتي جاءت مكملة للرسائل والشرائع من قبلها وخاتمة لها، لذلك كانت هذه الرسالة متكاملة الأركان، وهي صالحة لكل زمان ومكان وفيها ما يصلح حياة البشر وينظمها وفقاً لما أمره الله سبحانه وتعالى، وإذا كانت هذه الرسالة بهذه الصفات المتكاملة فلا بد أن يكون الحامل لهذه الرسالة أهلاً لها وللتبليغ بها، بداية من نسبه وأسرته ومولده وسيرته منذ صغره بين قومه، قبل البعثة وبعدها إلى وفاته.

ولكون النبي محمد صلى الله عليه وسلم أرسل بين العرب فلا بد أن يكون أعرقهم نسباً، وأطيبهم أصلاً، محمود الصفات، يعرف بالأمانة والصدق والوفاء بالعهد والكرم والشجاعة، فهو

---

[75] Saint John of Damascus Writings, P159

[76] أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب فضائل القرآن، باب: فضل سورة البقرة، ج4، ص1914، رقم (4722).

غاية ما يمدح في الرجال، وأرجا ما يطلب في الشرفاء، وهو يكون بذلك أهلاً لأن يحمل رسالة الله إلى البشرية ويوصلها بكل صدق وأمانة، دون أن يعرف كللاً أو ملالاً أو يتصرف من عنده بما يخالف أوامر الله.

ورغم ذلك لاقى النبي محمد صلى الله عليه وسلم من العداء لشخصه الكريم ولسيرته وحياته وتبليغه للرسالة الخالدة والهجوم عليه بغية الإساءة إليه وصولاً إلى الإساءة لدين الله الإسلام، وكان ممن أساؤوا إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوحنا الدمشقي الذي كتب كلاماً مليئاً بالحقد على الرسول الكريم وعلى رسالته الخالدة.

وفي هذا المبحث سأتحدث عن موقفه تجاه النبي محمد صلى الله عليه وسلم وما أثاره من شبهات تلقفها الجدليون المسيحيون من بعده وشكلت صورة مشوهة عن النبي صلى الله عليه وسلم لدى الغرب المسيحي:

المطلب الأول: موقف يوحنا الدمشقي من بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وسيرته:

الفرع الأول: انتحال النبوة:

يقول يوحنا: "قام في ما بينهم نبي منتحل (النبوة) اسمه محمد، والذي أنشأ هرطقته الخاصة بعد أن تعرف بالصدفة على العهدين القديم والجديد، وبعد أن تحاور كما يبدو مع راهب آريوسي، وبعد أن أحرز لنفسه حظوة لدى الشعب عبر تظاهره بالتقوى"[77].

يستخدم يوحنا عبارة نبي منتحل وفي النسخة الإنجليزية (false prophet) أي نبي كذاب أو مدعي نبوة، فهو يكذب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وينعته بالنبي الكذاب أو

---

[77] الدمشقي، يوحنا، **الهرطقة المئة**، ص49-50.

المدعي النبوة أو المنتحل، ويزعم أنه كان يستهوي الناس من قومه بكلمات منمقة وعبارات جذابة رصينة يمهد بها السبيل من خلالها لكي يحصل على الحظوة عندهم والمكانة المرموقة التي تجعلهم يسارعون إلى الإيمان به بمجرد إعلانه النبوة.

يبدأ يوحنا بتشوية صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم حتى قبل بعثته، فيدعي أنه كان يستهوي الناس لينال حظوة لديهم، والحقيقة تؤكد غير ذلك، فقد ورد في كتب السيرة ما يؤكد بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قبل بعثته كان مضرباً للمثل في الأخلاق الحسنة والصفات الحميدة، فلم يسجد لصنم أو وثن، ولم يرتكب الأفعال الرذيلة، وعرف بين قومه بالأمانة والصدق وحسن المعشر حتى لقبوه بالصادق الأمين، وكانوا يضعون أموالهم عنده لمعرفتهم بأنه أمين يحفظ الأمانة، وعلى سبيل المثال فقد أوصى علياً قبل هجرته إلى المدينة أن يرد الأمانات إلى أصحابها[78].

الفرع الثاني: الإسلام هرطقة مسيحية:

يدعي يوحنا بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أنشأ هرطقته الخاصة بعد أن تعرف بالصدفة على العهدين القديم والجديد، وبعد أن تحاور كما يبدو مع راهب آريوسي، وهو بذلك يؤسس مفهوماً للإسلام قائم على أن الإسلام ليس ديانة جديدة وإنما هو هرطقة، والهرطقة هي الإتيان بما هو مخالف للدين كله أو بعضه، وهو قريب من مصطلح البدعة في الإسلام[79]، فيوحنا يؤسس لفكرة أن الإسلام عبارة عن هرطقة مسيحية أي أن الإسلام منبثق من المسيحية

---

[78] ابن هشام، عبد الملك بن هشام، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1955م)، ج1، ص493

[79] ينظر للمزيد من شرح كلمة هرطقة: https://www.britannica.com/topic/heresy

جراء تتلمذ النبي محمد صلى الله عليه وسلم على يد راهب آريوسي وتأثره به، ولم يحدد يوحنا من هو هذا الراهب على وجه التحديد واكتفى بأنه على عقيدة آريوس[80] الذي نادى بعقيدة مشابهة للعقيدة التي ينادي بها محمد صلى الله عليه وسلم في نفي الألوهية عن المسيح وأنه مخلوق، ولكنه لم يحدد من هو هذا الراهب الآريوسي، وجاء من بعده من رشح اسم الراهب بحيرا بأنه هو من قام بتعليم النبي محمد صلى الله عليه وسلم[81]، ولكنه يأتي بعدها ويذكر نصوصاً تدل على أن بحيرا نسطوري المذهب لا آريوسي!، ونجد من المستشرقين من أخذ بهذه الشبهة وتناول هذا الموضوع زاعماً بأن النبي صلى الله عليه وسلم تتلمذ على يد بحيرا الراهب، فقد كتب المستشرق الأمريكي واشنطن إيرفينغ[82] في كتابه (محمد وخلفاؤه) بأن النبي التقى في بلاد الشام برهبان نساطرة ومنهم راهب اسمه سرجون أو بحيرى وقد أعجب بعبقريته وذكائه ورغبته المعرفية وتحاور معه في بعض المسائل الدينية[83]، وذكر المستشرق البريطاني ر.ف بودلي[84] في كتابه (الرسول

---

[80] أريوس (Arius) (250–336م): كاهن مسيحي عرف بدعوته للعقيدة التي سميت باسمه (الآريوسية) التي تؤمن بالطبيعة المخلوقة والمحدودة للمسيح بدلاً من مساواته مع الآب في الألوهية، وقد حكمت عليه الكنيسة بالحرمان والهرطقة. (ينظر: https://www.britannica.com/biography/Arius)

[81] المخلصي، أغابيون جورج أبو سعدى، **المسيحية العربية والمشرقية**، (د.م، د.ن، ط2، 2016م)، ص230.

[82] واشنطن إيرفينغ (Washington Irving) (1783–1859م): كاتب أمريكي اشتهر بلقب أول رجل أديب أمريكي، له العديد من المؤلفات الأدبية والتاريخية. (ينظر ترجمته في موسوعة: https://www.britannica.com/biography/Washington-Irving).

[83] إيرفينغ، واشنطن، **محمد صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه**، ترجمة: هاني يحيى نصري، (الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 1999م)، ص102.

[84] رونالد فيكتور بودلي (R. V. C. Bodley) (1892–1970م): كاتب وضابط في صفوف الجيش البريطاني، عاش بين العرب في الصحراء وتأثر بهم، له العديد من المؤلفات منها: رياح على الصحراء. (ينظر ترجمته: موسوعة كشاف:
https://www.kachaf.com/wiki.php?n=5ed567c26ae14360a867566a)

حياة محمد) بأن النبي التقى بالراهب بحيرا وأخذ منه عقيدة عيسى وسفه عبادة الأصنام وأن النبي كان يرهف السمع إلى ما ينطق به الراهب، ولم يكن هذا الراهب هو المؤثر الوحيد ولكن كان هناك أيضاً قس بن ساعدة وورقة بن نوفل[85].

وقصة الراهب بحيرا ولقاؤه مع النبي صلى الله عليه وسلم في الشام لا تعد دليلاً كافياً لدعوى أن النبي أخذ العلم من راهب نصراني، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان في عمر الثانية عشرة وحدث اللقاء في بصرى الشام فكيف يستقيم أن يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم كل هذا العلم منه في جلسة واحدة أو اثنتين وهو بهذه السن الصغيرة!

بل قصة الراهب بحيرا دليل على أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كانت أوصافه مكتوبة في كتبهم المقدسة لذلك عرفه بحيرا وتنبأ بأنه سيكون نبياً في المستقبل[86].

الفرع الثالث: النساء وقصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب:

يعود يوحنا مجدداً في معرض حديثه عن القرآن وشيء من سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويكتب:

"محمد هذا، كما تكلم كذلك أنشأ مؤلفات سخيفة (Ridiculous Books)[87] وأعطى اسماً لكل منها، وهكذا فعل بسورة النساء –(Book On Woman)– والتي قضى فيها لكل أحد

---

[85] بودلي، ر.ف، **الرسول حياة محمد**، ترجمة: محمد محمد فرج وعبد الحميد جودة السحار، (الفجالة مصر، مكتبة مصر، د.ط، د.ت)، ص39.

[86] ينظر: الغزالي، محمد، **فقه السيرة**، (دمشق، دار القلم، ط1، 1427هـ)، ص69.

[87] Saint John of Damascus Writings, P157 وما تليها من اقتباسات باللغة الإنجليزية من ذات الصفحة.

جلياً بأن يتخذ أربع نساء وألف خليلة إن أمكن، وبقدر ما تخضع له يده منهن علاوة على النساء الأربع، وأن باستطاعته أن يطلق امرأة واحدة إذا ما أراد ذلك ليتخذ له أخرى، ولقد سن محمد هذا القانون للسبب التالي: فقد كان لمحمد عشير اسمه زيد، وكان لهذا الرجل امرأة جميلة شغف بها محمد، وعندما كانا جالسين معاً قال محمد: يا صاح، لقد أعطاني الله امراً باتخاذ امرأتك لي. فأجاب زيد: إنك رسول فافعل كما قال لك الله واتخذ لك امرأتي. وحتى نباشر القصة منذ بدايتها بأكثر دقة، قال له محمد: لقد أعطاني الله أمراً بأن تطلق امرأتك، فطلقها. وبعد بضعة أيام قال له: لقد أعطاني الله أمراً بأن اتخذها لنفسي. وبعد أن اتخذها وزنى معها – حاشاه صلى الله عليه وسلم – في هذه الحال، أصدر هذا القانون: من يرغب في أن يطلق امرأته فليفعل، أما إذا عاد إليها بعد تطليقها فليتزوجها آخر، إذ ليس مسوغاً في الواقع أن يتخذها ما لم يتزوجها آخر"[88].

يواصل يوحنا سخريته من النبي محمد صلى الله عليه وسلم وينسب إليه أنه كتب القرآن – مؤلفات سخيفة كما كتب – وأنه خصص سورة عن النساء أو كما في النسخة الإنجليزية كتاب عن المرأة، وأنه أباح لنفسه أن يتخذ أربعة نساء وألف خليلة – أو محظيات Concubines – وأنه رغب في زوجة زيد فطلب منه أن يطلقها لكي يتزوجها، وأنه أصدر قانوناً من أراد أن يطلق امرأته فليطلقها ولكن إذا رغب في إعادتها فليتزوجها آخر.

لم يكتب النبي صلى الله عليه وسلم سورة النساء وإنما نزلت عليه من لدن حكيم خبير، مثلها مثل كل سور القرآن الكريم، وإطلاق لفظ (مؤلفات سخيفة) على القرآن الكريم يبين مدى الكراهية التي يكنها يوحنا للقرآن الكريم والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ودليل على عدم قدرته على قراءة القرآن وفهم نصوصه فهماً صحيحاً، فهو لا يملك ملكة النقد ولا يتمتع بروح

---

[88] الدمشقي، يوحنا، **الهرطقة المئة**، ص56-57.

الموضوعية وإنما تحركه أهواؤه ودوافعه، فوقع في أخطاء كثيرة لا ينبغي على المسيحي المنصف أن يأخذ منه.

لا صحة لاتهام يوحنا بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم –سن هذا القانون على حسب زعمه– لكي يتزوج بامرأة الصحابي زيد رضي الله عنهما، وهو بذلك يمهد الطريق لمن يأتي من بعده من الرهبان والمستشرقين كي يأخذوا بهذه المسألة وكأنما هي تهمة يواجهون بها المسلمين، والمسألة برمتها تتلخص في أن النبي صلى الله عليه وسلم من حبه لمولاه زيد خطب له زينب بنت جحش رضي الله عنهما، فأبت وقالت: أنا خير منه حسباً فنزل قوله تعالى: ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا)) (الأحزاب: 36)، فلما سمعت هذه الآية رضيت به وتزوجته، وبعد زواجهما كان زيد يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ويشكوها لأنها كانت تؤذيه بلسانها وتتعاظم عليه بشرفها وهم أن يطلقها ولكن النبي أمره بأن يمسك، ونزل قوله تعالى: ((وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا)) (الأحزاب: 37)، وبعد أن أنهت عدتها تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم امتثالاً لأمر الله، وفي هذه القصة عدة فوائد منها، القضاء على فكرة الاعتزاز بالحسب والنسب، وإنما يكون الاحتكام للدين والسيرة الحسنة والتخلق بالأخلاق الفاضلة، وإبطال فكرة التبني امتثالاً لقوله تعالى: ((ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)) (الأحزاب: 5)، حيث كان زيد يدعى في

الجاهلية بزيد بن محمد وكانت فكرة الزواج من زوجة الابن المتبنى غير واردة عند العرب، فنزلت الآية الكريمة لإبطال التبني[89].

المطلب الثاني: موقف يوحنا من بشارات الكتب السماوية السابقة ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

يقول يوحنا: "من ذا الذي يشهد بأن الله أعطاه كتاباً، أو من أعلن من الأنبياء أن سيأتي نبي كهذا؟ إننا نوقعهم في الحيرة عندما نقول لهم: لقد تسلم موسى الشريعة على جبل سيناء على مرأى من جميع الشعب عندما ظهر له الله في السحاب والنار والظلام والعاصفة، وجميع الأنبياء منذ موسى قد أعلنوا واحدهم تلو الآخر أن سيأتي المسيح، وأن المسيح هو الله، وأن ابن الله سيقبل متجسداً وأنه سيصلب ويموت ويقوم وأنه هو الذي سيدين الأحياء والأموات.. لمَ لم يأتِ نبيكم هكذا، مع آخرين يشهدون له؟"[90].

يطرح يوحنا أسئلة بغية الطعن في نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حيث يقول من ذا الذي يشهد بأن الله أعطاه كتاباً؟ والرد عليه من خلال ما قاله الله تعالى في كتابه العزيز: ((مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)) (الأحزاب: 40) ، وقوله تعالى: ((وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ۚ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ)) (العنكبوت: 47)، وغيرها من الآيات الكثيرة التي تدل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

---

[89] ابن هشام، **السيرة النبوية**، ص248-249.

[90] الدمشقي، يوحنا، **الهرطقة المئة**، ص52.

ويقول: أو من أعلن من الأنبياء أن سيأتي نبي كهذا؟ لمَ لم يأتِ نبيكم هكذا، مع آخرين يشهدون له؟، أخذ الله العهد على سائر أنبيائه ومرسليه أن يبشروا بقدوم النبي محمد صلى الله عليه وسلم بين أقوامهم يقول تبارك وتعالى في محكم تنزيله: ((وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ)) (آل عمران: 81)، وأهل الكتاب الذين طالعوا التوراة والإنجيل وتيقنوا بأن صفات النبي محمد صلى الله عليه وسلم واردة فيهما فسارعوا إلى تصديقه والإيمان به، يقول الله عنهم: ((الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (الأعراف: 157)، وهؤلاء عرفوا النبي محمد صلى الله عليه وسلم من جراء ما أخبرهم وبشرهم به أنبيائهم وقد أمروهم باتباعه والتصديق به، قال تعالى: ((الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)) (البقرة: 146).

وإذا كان يوحنا لا يؤمن بالقرآن الكريم وما جاء به من آيات بينات توضح صدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فهناك نصوص عدة من الكتاب المقدس وبشارات من الأنبياء عليهم السلام تؤكد بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم[91].

المطلب الثالث: إنكار يوحنا لنزول الوحي على النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

---

[91] ينظر: الطبري، علي بن ربن: **الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: عادل نويهض، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط1، 1973م)، ص173.

يقول يوحنا: "لمَ لم يرسل إلى نبيكم الكتاب الذي تتحدثون عنه بغية توطيد يقينكم؟ يجيبون بأن الله يفعل ما يشاء... نسأل كيف أوحي بالكتاب إلى نبيكم؟ فيجيبون أن الكتاب نزل عليه في أثناء نومه. ولكيما نسخر منهم نقول: بما أنه استلم الكتاب في أثناء نومه دونما إدراك لهذا النشاط، فالمثل الشعبي من ثم يناسبه تماماً، ونسألهم من جديد: كونه هو نفسه أمركم في كتابكم ألا تفعلوا شيئاً وألا تقبلوا شيئاً بدون شهود، فلم لم تسألوه: ابدأ أنت أولاً وبرهن من خلال الشهود أنك نبي وأنك مرسل من الله، وما هو الكتاب الذي يشهد لصالحك؟ فليزمون الصمت من ثم خجلين. ونقول بحق لهم: كونه لم يبح لكم الاقتران بامرأة ولا الشراء ولا الاقتناء بدون شهود، وكونكم لا تقبلون بأن تملكوا ولو حميراً أو ماشية بدون شاهد، فلا تتخذون لكم من ثم نساء وخيرات وحميراً وباقي الأشياء إلا أمام شهود. إذاً قد قبلتم الإيمان والكتاب وحدهما بدون شاهد! لأن الذي نقل إليكم هذا الكتاب لا ضمان له من أي جهة، كما ولا يعرف أحد شهد لصالحه من قبل. لا بل تسلمه في أثناء نومه علاوة على ذلك[92].

يفترض يوحنا حواراً مع المسلمين حول الوحي والكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنه لا يتحرى الدقة والصدق في حواره وخصوصاً في الجواب الذي يضعه على لسان المسلمين، وهذا المنهج يتبعه يوحنا لكي يوضح لأتباعه بأنه حاور المسلمين ولم يجد عندهم أجوبة مقنعة، وهو في الحقيقة لا يضع الجواب الصحيح – رغم معرفته به– وإنما يستغل جهل أتباعه بالإسلام فينشر عنه أفكار خاطئة بغية عدم تأثرهم به.

ويتساءل لماذا لم يرسل الله إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم "الكتاب الذي تتحدثون عنه بغية توطيد يقينكم"، ما هذا الكتاب الذي يتحدث عنه يوحنا وينتظره المسلمون ولم يرسله الله؟

---

[92] الدمشقي، يوحنا، **الهرطقة المئة**، ص53.

أهو القرآن أم غيره؟ فإذا كان القرآن فقد نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم كاملاً في حياته وبلغه النبي لأصحابه وحفظوه في الصدور ودونوه في السطور حتى جمع في مصحف واحد، وهو الكتاب الوحيد عند المسلمين، فماذا يقصد يوحنا إذا كان غيره؟، ويتساءل كيف أوحي لنبيكم؟ فيجيبون أن الكتاب نزل عليه في أثناء نومه! وهذا كلام لم يقله المسلمون وإنما هو من وضع يوحنا.

وأما نزول الوحي فقد شهد الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بكل ما أوحاه إليه، وقرن شهادته سبحانه شهادة الملائكة المكرمين، قال تعالى: ((لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا)) (النساء: 166)، وكفى بها من شهادة مكرمة من عند الله سبحانه وتعالى.

وفي السنة فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء....[93].

إذاً فالوحي كان يأتي النبي محمد صلى الله عليه وسلم كما يأتي الأنبياء من قبله بواسطة ملك الوحي جبريل عليه السلام، طبق نواميس خارقة ومخالفة للعادات والقوانين الكونية المعهودة لدى البشر، يقول سبحانه وتعالى: ((إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)) (النساء: 163).

---

[93] أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي، ج1، ص4، رقم (3).

يتساءل يوحنا عن كيفية نزول الوحي على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والجواب ما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ((وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)) (الشورى: 51)، وهذه الآية تحدد ثلاث صور لنزول الوحي وهي:

أ- إلقاء الله سبحانه وتعالى في قلب النبي ما يريد إعلامه به من غير توسط ملك الوحي.

2- الكلام من وراء حجاب فيكلم الله النبي دون أن يراه.

3- نزول ملك الوحي جبريل عليه السلام على النبي وتكليمه، وكان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بصورتين: الأولى: يأتيه مثل صلصلة الجرس، والثانية: يتمثل له في صورة رجل فيكلمه.

وكان أكثر الوحي المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام، قال تعالى: ((وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ)) (الشعراء: 192-195)[94].

أراد يوحنا بهذا النص أن يثبت أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم ما كان يأتيه الوحي، وإنما القرآن عبارة عن مجرد خواطر كانت تراوده أثناء نومه، وأنه لا ضمانة له من أي جهة كما ولا يعرف أحد شهد لصالحه من قبل، لا بل تسلمه في أثناء نومه علاوة على ذلك! والنائم إذا كان يهذي بمثل هذا الكلام، فكيف يكون هذا الكلام قرآناً معجزاً يعجز أن يأتي بمثله أفصح البلغاء والشعراء.

---

[94] زرزور، عدنان محمد، **علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه**، (الأردن، عمان، دار الأعلام، ط1، 2005م)، ص75.

أما قوله: برهن من خلال الشهود أنك نبي وأنك مرسل من الله؟ وما هو الكتاب الذي يشهد لصالحك؟ فيلزمون الصمت من ثم خجلين! يعود يوحنا لأسلوبه الساخر في حديثه عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويفترض حواراً مع المسلمين ينكر فيه عليهم أنهم آمنوا بالنبي بدون شهود، وكيف يؤمنون بدون شهود وهم في معاملاتهم لا يقبلونها بدون شاهد!، ولكن يوحنا لا يذكر كيف آمن الصحابة رضوان الله عليهم إذ رأوا بأعينهم كيف كان يوحى إليه صلى الله عليه وسلم، ورأوا معجزاته الدالة على صدقه، ألا تكفي شهادة الله أنه نبي وأنه يوحى إليه، قال تعالى: ((مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)) (الأحزاب: 40) ، وقوله تعالى: ((وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ۚ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ)) (العنكبوت: 47)، وغيرها من الآيات التي تدل على صدق نبوة ورسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثاني: أثر يوحنا في العلاقات المسيحية الإسلامية:

ذكرت سابقاً أصول يوحنا الدمشقي وعائلته ونشأته في دمشق في العصر الأموي، وما كان لذلك من أثر في تكوين شخصيته وبناء أفكاره وإفراغها في مؤلفات بعد عزله من وظيفته واعتزاله في دير سابا، والتي كانت تدور في فلك اللاهوت المسيحي والدفاع عنه في وجه الهرطقات – كما سماها – ومن بينها هرطقة الإسماعيليين، أي المسلمين، وشن حرباً في كتاباته على الإسلام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بعدما رأى انتشار الإسلام في أنحاء مختلفة من البلاد وتثبيت أركان الحكم الإسلامي في المناطق التي سيطر عليها حتى وفاته.

وتبوأ يوحنا من خلال كتاباته اللاهوتية التي دافع فيها عن العقيدة المسيحية؛ مكانة رفيعة في عصره جعلته مرجعاً مهماً للكثير من المسيحيين المعاصرين له ومن جاؤوا من بعده حتى يومنا هذا، وكان من بين من تأثر به عدد كبير من الرهبان والمفكرين المسيحيين ومنهم من وصل إلى درجة الـ (بابا) وهي أعلى رتبة في الكنيسة المسيحية بل هو أب كل المسيحيين ومرجعهم الأول في كل شيء.

وبسبب هذه المكانة الرفيعة ليوحنا الدمشقي في نظر المسيحيين أصبحت كتاباته مرجعاً لهم دون أن يعيدوا النظر فيها لأسباب منها، أن يوحنا وصل لمرتبة القداسة جعلته من آباء الكنيسة الذين تعود إليهم المرجعية الكنيسة في التشريع بعد الكتاب المقدس، وقد حاز شهرة في مجال التدريس في دير سابا جعلته أستاذاً للعديد من الطلاب والرهبان، وقيل فيه: حاز يوحنا على مناقب المدرس الرئيسة، ألا وهي: الوضوح، ودقة التعبير، وحب التمييز، وإقامة الدليل

والحجة، عادة الالتجاء إلى أبسط المقارنات، لجعل أسمى العقائد بمتناول الفهم والإدراك[95]، وما كتبه يوحنا يعد من أوائل الكتابات المسيحية عن الإسلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم، وبسبب حالة الكراهية التي تولدت في نفوس بعض المسيحيين جعلتهم يعتمدون على كتابات يوحنا الدمشقي كرد فعل على ظهور الإسلام وانتشاره في البلاد التي كانت المسيحية فيها منتشرة وتقلص وجودها بسبب دخول سكانها الإسلام، وقلة من خاض مجال الجدل الديني مع المسلمين –بدايات عهد يوحنا– ومن دخل هذا المجال اعتمد على كتابات يوحنا الدمشقي لاحتوائها على جل ما يحتاجه المسيحي في الجدل وإثارة الشبهات مع المسلم، وسأذكر بعضاً ممن تأثر بيوحنا الدمشقي ووصلت كتاباته إلينا، بدءاً من المتقدمين ممن جاؤوا خلال عصر يوحنا وبعده، ووصولاً إلى المتأخرين المعاصرين في القرن الحادي والعشرين.

المبحث الأول: أبرز المتأثرين بكتابات يوحنا الدمشقي:

تأثر العديد من الجدليين والكتاب المسيحيين بما كتبه يوحنا الدمشقي عن الإسلام وأصوله، وأخذوا بآرائه والشبهات التي أثارها وطوروها لتصبح أشد عدائية وكراهية ضد الإسلام وأصوله، منهم: ثاذوروس أبو قرة، وعبد المسيح الكندي، وبطرس المبجل، ونيقيتاس البيزنطي، وجورج الراهب، والمؤرخ ثيوفانيس، وغيرهم، وسأذكر بعضاً ممن تأثر بيوحنا الدمشقي في الآتي:

المطلب الأول: ثاذوروس أبو قرة (Theodore Abu Qurrah) (755/740 – 830م):

الفرع الأول: نبذة عنه:

---

[95] نصر الله، جوزف، **منصور بن سرجون المعروف بالقديس يوحنا الدمشقي**، ص131.

هو ثاذوروس أو ثاوردورس أو ثيوردور أو تواضروس أبو قرة أو أبو قارة، واسمه مهما يختلف النطق العربي فإنه يعطي نفس المعنى والذي يعني عطاء الله أو هدية الله، اختلف المؤرخون حول سنة ولادته ووفاته والراجح أنه ولد بين سنة 740 إلى سنة 755 وتوفي حوالي سنة 830 ميلادي، وهو ما يعني أنه كان معاصراً للعصر العباسي، فقد عثر في مكتبة باريس على نسخ من جدال ديني جرت بينه وبين المأمون الذي تولى الخلافة بين سنتي 813 إلى 833 ميلادي الموافق 198 إلى 218 هجري، وقد طبع في كتاب بعنوان: أبو قرة والمأمون، المجادلة، وهو يحوي على نص المجادلة مستقاة من عدة مخطوطات بتحقيق وتعليق وفيق نصري اليسوعي[96].

ولد ثاذوروس في مدينة الرها[97] وتلقى العلوم منذ نشأته كالطب والمنطق والفلسفة وبرع فيها، وكان يتقن العربية واليونانية والسريانية، وقد كتب بعض مؤلفاته باللغة العربية، مما جعلتها أقدم تأليف عربي نصراني[98].

وانتسب إلى دير مار سابا في فلسطين وكان معجباً بيوحنا الدمشقي الذي كانت سمعته عمت الدير بما قام به من الدفاع عن الأيقونات المقدسة وما ألفه من كتب في الدفاع عن اللاهوت المسيحي والرد على الهرطقات، وأخذ علومه وأفكاره من الطلاب والرهبان والقساوسة

---

[96] اليسوعي، وفيق نصري، **أبو قرة والمأمون: المجادلة**، (بيروت، مركز التراث العربي المسيحي للبحث والتوثيق والنشر، ط1، 2010م).

[97] مدينة الرها: مدينة تقع بين تركيا وسوريا حالياً، عرفت قديماً بدورها الكبير في نشر التعليم والأدب السرياني وكانت تجري فيها العديد من المناظرات بين الطوائف المسيحية. (ينظر: https://www.britannica.com/place/Osroene)

[98] كما هو مكتوب على غلاف كتاب: ميامر ثاودورس أبي قرة أسقف حران، عني بطبعه الخوري قسطنطين الباشا أحد رهبان دير المخلص، والكتاب طبع في مطبعة الفوائد لصاحبها خليل البدوي في بيروت، بدون تاريخ.

الذين تناقلوا مؤلفاته بينهم، واتبع أبو قرة منهج يوحنا وعزم على نشر أفكاره في العالم العربي واتخذه إماماً ومعلماً له، يقول وفيق نصري اليسوعي: "فالافتراض أن أبا قرة ينتمي إلى دير مار سابا يعود إلى التأثير الواضح ليوحنا الدمشقي على أسلوب أبي قرة في الميمر المتعلق بإكرام الأيقونات المقدسة"[99].

الفرع الثاني: تراث أبي قرة في الجدل مع المسلمين وتأثره بيوحنا الدمشقي:

كان أبو قرة على معرفة بالإسلام وعقائده وكان يقرأ ويكتب بالعربية لذلك لم يجد صعوبة في فهم النصوص الإسلامية لا سيما القرآن الكريم والسنة النبوية أهم مصدرين للتشريع الإسلامي، وكان قد درس تراث يوحنا الدمشقي وسلك منهجه في الدفاع عن العقائد المسيحية والرد على أتباع الأديان الأخرى ومنها الدين الإسلامي، وسأبين خلال النقاط التالية موقف أبو قرة من الإسلام وأصوله ومدى تأثره بيوحنا الدمشقي:

1- في إكرام الأيقونات:

وضع أبو قرة هذه المقالة تأثراً بمعلمه يوحنا الدمشقي للدفاع عن الأيقونات والصور المقدسة في وجه كل من يحارب هذا المعتقد من مخالفي النصرانية الذين تأثر بهم كثير من المسيحيين عن إكرام الصور المقدسة، فكان أن وضع هذه المقالة في إكرام الأيقونات وبيان دورها ومكانتها في الديانة المسيحية والرد على المخالفين ومنهم المسلمون، فهو ينكر عليهم إيمانهم بأوصاف مجسمة لله، كجلوسه على العرش، وأن له يداً ووجهاً ونحو ذلك، ولا يقرب ذلك فهم ما

---

[99] اليسوعي، وفيق نصري، **أبو قرة والمأمون: المجادلة**، ص50.

يقوله المسيحيين عن المسيح، وكذلك ينكر عليهم إيمانهم بأن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام فسجدوا له إلا إبليس عصى وكان من الكافرين، ويتساءل إن كان هذا السجود عبادة فحاشا الله أن يأمر بذلك، وإنما كان السجود على وجه الكرامة، فالسجود لا يكون للألواح والصور وإنما لما تمثله في المسيح وأمه العذراء والقديسين، ويبرر ذلك بأن السجود على الأرض بأن تمس الجبهة الأرض لا يراد منها السجود للأرض وإنما لمن كان في النية فالسجود يكون خالصاً له.

ويطلب أبو قرة من المسلمين دون أن يذكرهم بالاسم صراحة في معرض استشهاده من القرآن الكريم بقصة سجود الملائكة لآدم في قوله تعالى: ((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)) (البقرة: 34)، وسجود يعقوب وبنيه ليوسف في قوله تعالى: ((وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا)) (يوسف: 100)، يطلب منهم أن يكفوا عن الاستهزاء بالمسيحيين إذا سجدوا لأساقفتهم، فالله أمر الملائكة بالسجود لآدم وسجد يعقوب وبينه ليوسف على وجه الكرامة، فلا يعيبوا الأنبياء على أفعالهم[100].

2- زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب رضي الله عنها:

اتبع أبو قرة مسلك يوحنا الدمشقي في قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب رضي الله عنها، يقول: "وأعظم من هذا لما رأى امرأة زيد وهواها فقال إن الوحي نزل عليه فقال: لما قضى زيد منها وطراً زوجناكها تزويجاً جديداً، وكان الله عزوجل الخاطب لها وجبرائيل الشاهد، وطلق من زيد امرأته، وتزوج هو بها بأمر ربه، إن هذا القبيح تحكيه عن نبيك، وتصلي

---

[100] أبو قرة، ثاذوروس، **ميمر في إكرام الأيقونات**، تحقيق: اغناطيوس ديك، (لبنان، المكتبة البولسية، د.ط، 1986م)، ص131.

به في صلواتك، وتنسبه إلى قول الله تعالى"[101]، فهو يتهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه هوى امرأة زيد ثم نسب أمر تطليقها من زوجها زيد وزواجه منها بعد ذلك إلى الله تعالى، وقد سبق وأن اتهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لا شغل له سوى الزواج وقد اتخذ أربعة عشرة زوجة، وفرض على المسلمين أربعة نساء[102].

وهذا الاتهام من أكثر التهم التي استمر أثرها في رؤية الغرب للنبي صلى الله عليه وسلم على أنه كثير الزواج وأنه اشتهى – أو هوى كما قال أبو قرة– امرأة ابنه زيد بالتبني وأمر بتطليقها وتزوجها ونسب ذلك إلى الله، دون أن يتم مراجعة القصة مراجعة صحيحة من مصادرها الإسلامية التي أكدت على أن الزواج كان بغرض إبطال عادة التبني وليس اشتهاء كما ادعوا.

3– تعظيم الحجر:

رد أبو قرة على اتهام أحد المسلمين للمسيحيين بأنهم يعبدون العود الذي صلب عليه المسيح بأن قال: "معاذ الله أن نعبد غير الرب الإله الذي هو رب الصليب ورب كل شيء"، ثم سأل عن سبب تعظيمهم للصليب، أجاب: "كما تعظمون أنتم الحجارة وتقبلونها وتتمسحون بها من غير آية ظهرت منها"[103]، ورده هذا يشبه رد يوحنا الدمشقي كثيراً الذي خاطب المسلمين بقوله: "لماذا تحتكون بحجر كعبتكم هذا وتحبون الحجر حتى معانقته"[104]، يصر يوحنا وأبو قرة على استخدام مفردات توحي بتأثر المسلمين بالوثنية عن طريق تعظيمهم للحجر، ولإظهار مدى

---

[101] اليسوعي، وفيق نصري، **أبو قرة والمأمون: المجادلة**، ص153.

[102] المرجع السابق، ص152

[103] المرجع السابق، ص169

[104] الدمشقي، يوحنا، **الهرطقة المئة**، ص55.

تمكنهم من المجادلة عندما يقارنون بين المعتقد المسيحي الذي يعظم رب الصليب وليس الصليب نفسه، أما المسلمين فيعظمون الحجر رغم أنه لم يظهر منها آية أو معجزة.

من خلال ما ذكر سابقاً نجد بأن أبا قرة سار على درب معلمه يوحنا الدمشقي في جداله وصراعه الفكري مع المسلمين وغيرهم، فقد ركز جهوده في الدفاع عن المسيحية سواء كان دفاعاً عقلياً من خلال الخوض في علم الكلام والفلسفة، أو دفاعاً لاهوتياً بالاستشهاد بالأناجيل والنصوص المقدسة، والرد على الشبهات التي يثيرها أتباع المذاهب والأديان الأخرى ومنهم المسلمون، فقد عاش أبو قرة في بيئة إسلامية ولم يمنع ذلك من أن يمارس نشاطه الفكري بحرية وأن يناقش ويناظر المسلمين ويطرح آرائه ويدافع عن معتقداته، وما يميز أبو قرة عن يوحنا الدمشقي بأنه جاء في وقت كثر فيه الخوض في علم الكلام والفلسفة، وكثرت المناظرات بين المسيحيين والمسلمين وغيرهم من أتباع الأديان الأخرى.

المطلب الثاني: عبد المسيح الكندي (Abd al-Masīḥ al-Kindī) (القرن التاسع الميلادي):

الفرع الأول: نبذة عنه:

هو عبد المسيح بن إسحاق الكندي العراقي المنتسب إلى قبيلة كندة العربية، عاش في القرن التاسع الميلادي – الثالث الهجري– وكان عاملاً في بلاط الخليفة العباسي المأمون، عرف عنه دفاعه عن الديانة المسيحية، جرت بينه وبين عبد الله بن إسماعيل الهاشمي محاورة مشهورة دافع فيها عن المسيحية والرد على الشبهات المثارة حولها[105]، وعرفت باسم: "رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي يدعوه بها إلى الإسلام، ورسالة الكندي إلى

[105] Thomas, David and Roggema, Barbara, Christian-Muslim Relations, V1, p585

الهاشمي يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية"، وملخص هذه المحاورة أن عبد الله الهاشمي ألف رسالة دعا فيها عبد المسيح الكندي إلى الإسلام ورد عليه الكندي برسالة رفض فيها دعوته إلى الإسلام لأسباب منها أن الدين الإسلامي يحوي الكثير من التناقضات والهرطقات وأن الدين الصحيح هو الدين المسيحي، وذكر فيها الكثير من الشبهات حول الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم.

وقد أثير الشك حول موثوقية هذه الرسالة ونسبتها إلى صاحبها عبد الله الهاشمي وكذلك رد الكندي عليها، ويظهر ذلك من خلال عدة أدلة منها: مساواة المسلم بالذمي ونسبة ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وتصديق المأمون برسالة الكندي وإيمانه بأن الدين الصحيح هو الدين المسيحي، وأن واضع الرسالتين هو من المسيحيين البروتستانت إذ إنه يستشهد بآيات من التوراة والإنجيل وتقسيمها إلى أسفار وإصحاحات يطابق ما هو مذكور في طبعات الكتاب المقدس للبروتستانت ولم يكن ذلك مذكوراً في الترجمات القديمة في عهد الهاشمي والكندي[106].

ولكن يوجد في المقابل ما يؤكد نسبة رسالة الرد من عبد المسيح الكندي على رسالة عبد الله الهاشمي ما ذكره البيروني في كتابه "الآثار الباقية من القرون الخالية": ما نصه: "وكذلك حكى عبد المسيح بن إسحاق الكندي النصراني عنهم في جوابه عن كتاب عبد الله بن إسماعيل الهاشمي أنهم يعرفون بذبح الناس ولكن ذلك لا يمكنهم اليوم جهراً..."[107].

---

[106] ينظر: الآلوسي، نعمان محمود، **الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح**، (القاهرة، دار البيان العربي، ط1، 1987م)، ج1، ص5.

[107] البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، **الآثار الباقية من القرون الخالية**، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2008م)، ص244.

لا شك بأهمية هذه الرسالة بغض النظر عن مدى صحة نسبتها إلى صاحبها، إذ إنها حققت شهرة لدى الغرب وأصبحت من المصادر التي يتم الاستشهاد بها في الطعن بالدين الإسلامي ونبيه صلى الله عليه وسلم.

الفرع الثاني: تراث عبد المسيح الكندي في الجدل مع المسلمين وتأثره بيوحنا الدمشقي:

حققت رسالة رد الكندي على عبد الله الهاشمي شهرة منذ طباعتها في لندن سنة 1881م لما حوتها من جدل ديني دفاعاً عن المسيحية وهجوماً على الإسلام وأصوله ونبيه صلى الله عليه وسلم، وسأذكر بعضاً من الجوانب التي يظهر فيها بوضوح تأثر الكندي بيوحنا الدمشقي في جدله الديني مع الإسلام:

1- التشكيك بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وشبهة تأثره براهب مسيحي:

تأثر الكندي بما أثاره يوحنا الدمشقي من أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم انتحل صفة النبوة في قومه قائلاً: "فعندما أيس مما سولت له نفسه ادعى النبوة وأنه رسول مبعوث من رب العالمين، فدخل عليهم من باب لطيف لا يعرفون عاقبته... وكان ذلك من تعليم الرجل الملقن له"[108]، ومصدر كلامه هذا يتضح أنه استقاه مما كتبه يوحنا في كتابه الهرطقة المئة: "قام فيما بينهم نبي منتحل النبوة اسمه محمد.. وبعد أن أحرز لنفسه حظوة لدى الشعب عبر

---

[108] الكندي، عبد المسيح بن إسحاق، **رسالة الكندي مع تعليقات ويليام موير**، (مأخوذة من الطبعة الثانية الصادرة في لندن 1887م)، ص50.

تظاهره بالتقوى"[109]، ثم ذكر الكندي بأن النبي صلى الله عليه وسلم تلقى تعليمه على يد راهب من رهبان النصارى، ولكنه اختلف عن يوحنا بأن سمى الراهب باسم سرجيوس ونسبه إلى المذهب النسطوري، يقول: "فلم يزل يتلطف ويحتال بصاحبك حتى استماله وتسمى عنده نسطوريوس... فلم يزل يخلو به ويكثر مجالسته ومحادثته ويلقى إليه الشيء بعد الشيء إلى أن أزاله عن عبادة الأصنام، ثم صيره داعياً وتلميذاً له يدعو إلى دين نسطوريوس"، وهو بذلك يشير إلى ورقة بن نوفل زاعماً أن النبي صلى الله عليه وسلم تتلمذ على يديه وأخذ منه العلم والنبوة ودعا إلى دين نسطوريوس[110]، فنسب الكندي نبوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى راهب من رهبان المسيحيين وسار على خطى يوحنا الدمشقي بأن نسب أصل الإسلام إلى المسيحية وأنها هرطقة مسيحية وليس ديناً جديداً، مع اختلاف أنه نسب الراهب إلى المذهب النسطوري بدل الآريوسي التي ادعاها يوحنا.

2- اتهام الإسلام بالوثنية:

اتهم يوحنا الدمشقي الإسلام بالوثنية قائلاً: "لقد كانوا وثنيين يعبدون نجمة الصبح والزهرة... وكان الأحرى بكم فعلاً أن تقولوا بأن له شريكاً من أن تشوهوه جاعلين إياه شبيهاً بحجر أو خشب أو شيء ما من الجوامد... لماذا إذاً تحتكون بحجر كعبتكم هذا وتحبون الحجر حتى معانقته"[111]، وتبعه الكندي في ذلك إذ قال: "وأما دعوتك لي إلى حج بيت الله الذي بمكة ورمي الجمار والتلبية وتقبيل الركن والمقام فسبحان الله ما أعظم هذا الكلام؟ لقد جئت بشيء

---

[109] الدمشقي، يوحنا، **الهرطقة المئة**، ص50.

[110] الكندي، عبد المسيح بن إسحاق، **رسالة الكندي مع تعليقات ويليام موير**، ص72.

[111] الدمشقي، يوحنا، **الهرطقة المئة**، ص49، ص54، ص55.

فري... أو لا تعلم أن هذا فعل الشمسية والبراهمة الذي يسمونه النسك لأصنامهم بالهند، فإنهم يفعلون في بلدهم هذا الفعل بعينه الذي يفعله المسلمون اليوم من الحلق والتعري الذي يسمونه الإحرام والطواف ببيوت أصنامهم... فلما جاء صاحبك بالإسلام لم نره زاد في هذه الأفعال ولا نقص منها شيئاً"[112]، ويتضح من كلامه بأنه اتهم الإسلام بالوثنية بالتركيز على فريضة الحج كما سبقه يوحنا الدمشقي بقوله تحتكون بكعبتكم، وقد أشار معرب كتاب يوحنا في الهامش بعد كلمة كعبتكم إلى سورة المائدة والتي يقول فيها الله عز وجل : ((جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ)) (المائدة: 97)، فنجد يوحنا والكندي وكذلك المعرب يربطون فريضة الحج بالوثنية ويشبهون هذا الفعل بما قام به الشمسية والبراهمة في الهند، وهذا الربط يجعل الإسلام متأثراً بما سبقه من الوثنيات، ويوحي الكندي لقرائه بأن الأفعال التي يفعلها المسلمون في الحج ما هي إلا من " فعل من قد غرب عقله وأنكر فهمه ومن يتخبطه الشيطان".[113]

3- التشكيك بمصدر القرآن الكريم:

ادعى يوحنا الدمشقي بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم ألف القرآن الكريم بعد أن تعرف على العهدين القديم والجديد، وبعد أن تحاور راهب آريوسي مدعياً بأنه نزل عليه من السماء، فنسب مصدر القرآن الكريم إلى العهدين القديم والجديد وكذلك الراهب الآريوسي وأنه أنشأ الآيات بنفسه ووصفها بالمثيرة للضحك والسخافات[114]، وقد تأثر الكندي به ونسب مصدر القرآن الكريم أولاً إلى الراهب نسطوريوس ثم نسبها إلى مجموعة من الأشخاص بتبدل الأحوال والأزمان،

---

[112] الكندي، عبد المسيح بن إسحاق، **رسالة الكندي مع تعليقات ويليام موير**، ص88.

[113] المرجع السابق.

[114] الدمشقي، يوحنا، **الهرطقة المئة**، ص50، ص52.

يقول: "فلما قوي الأمر في النصرانية وكاد أن يتم توفي نسطوريوس فوثب عبد الله بن سلام وكعب المعروف بالأحبار اليهوديان بخبثهما ومكرهما، فأظهرا له أنهما قد تابعا على رأيه... فأدخلا فيه أخبار التوراة وشيئاً من جل أحكامها، وأخبار من عندما بدلها وشنعا فيه وزادا ونقصا ودسا تلك الشناعات... والحجاج بن يوسف أيضاً جمع المصاحف وأسقط منها أشياء كثيرة...كسورة براءة التي كتبوها عن الأعرابي الذي جاءهم من البادية... وأنت تعلم كيف انتسقت الأخبار وكثر التخليط في كتابك الذي هو دليل على أن الأيدي الكثيرة تداولته واختلفت فيه الآراء وزيد فيه ونقص منه"[115]، وهو يشير بذلك لقرائه بأن القرآن الكريم ليس كتاباً منزلاً من عند الله وكانت الكتابة لمجموعة من الأشخاص كما سماهم في رسالته، ويظهر بعض التناقضات في رسالته إذ إنه ذكر بعد وفاة نسطوريوس قام عبد الله بن سلام وكعب الأحبار إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأظهرا أنهما قد تابعا على رأيه، وبمراجعة كتب السيرة نجد بأن عبد الله بن سلام أسلم بعد مقدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة[116]، أما كعب فقد أسلم بعد وفاة النبي صل الله عليه وسلم[117]، في حين كانت وفاة نسطوريوس –أي ورقة بن نوفل على الأرجح– قبل البدء بالدعوة النبوية، وبذلك يكون استحالة أن يكون التقيا بالراهب نسطوريوس والتلاعب بالقرآن الكريم ولم يكن قد نزل وقتها سوى بضع آيات، وقد ذكر الكندي من أن علياً تأخر في بيعة أبي بكر

---

[115] الكندي، عبد المسيح بن إسحاق، **رسالة الكندي مع تعليقات ويليام موير**، ص72–73.

[116] ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج1 ص516.

[117] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج3، ص489.

لانشغاله بجمع القرآن الكريم بوصية من النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يذكر مصدراً استقى منها هذه المعلومة، والثابت بأن علياً كان منشغلاً بدفن النبي صلى الله عليه وسلم[118].

يتضح مما سبق بأن الكندي تأثر بيوحنا الدمشقي في هجومه على الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، وزاد عليه في أمور كثيرة تبين سعة اطلاعه على الإسلام وأصوله وسيرة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولكنه لم يكن موضوعياً في رسالته شأن يوحنا من قبله، وكثرت أخطاؤه وتناقضاته حتى إن محقق رسالته المستشرق موير أشار إلى ذلك في عدة مواضع، مثل: لعل ذكره خطأً، إن مؤلفنا ليس دقيقاً، إن مؤلفنا ليس صائباً هنا، إن أجزاء من العمل هنا تتسم بالاضطراب، وغيرها من العبارات[119]، ورغم ذلك فقد حازت رسالته مكانة وأهمية لدى القراء المسيحيين حتى إن المستشرق موير وصفه بأنه بطل المسيحية ابن الشرق من محتد عربي رفيع[120].

المطلب الثالث: بطرس المبجل (Peter the Venerable) (1092-1156م):

الفرع الأول: نبذة عنه:

هو راهب ولاهوتي فرنسي ولد حوالي سنة 1092م في فرنسا، وتم تعليمه على الحياة الرهبانية منذ الصغر إلى أن نشأ وأصبح رئيساً لدير كلوني وهو في سن الثلاثين، وقد ازدهر الدير في عهده وزاد نشاطه اللاهوتي بعدما حمل بطرس لواء الدفاع عن المسيحية، وقام بزيارة المسيحيين في إسبانيا التي كانت تحت حكم المسلمين وتقصي أحوالهم والتعرف على ما يحدث

---

[118] ينظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج2 ص664.

[119] ينظر هوامش: **رسالة الكندي مع تعليقات ويليام موير**، ص64 وص72 وص74 وص88.

[120] المرجع السابق، ص9.

بينهم وبين المسلمين من حوار ونزاعات وخلافات، وقام بوضع مشروع لفهم الإسلام عن طريق تجديد الرؤية تجاه الإسلام والمسلمين، عن طريق ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية ضمن مشروع مشترك، توفي عام 1156م ودفن في كنيسة الدير في كلوني، وقد أطلق عليه الإمبراطور الروماني فريدريك باربا روسا لقب المبجل[121] بعد وفاته[122].

الفرع الثاني: تراث بطرس المبجل في الجدل مع المسلمين وتأثره بيوحنا الدمشقي:

قاد بطرس المبجل حملة فكرية للهجوم على الإسلام والمسلمين بالتزامن مع الحملة الصليبية الثانية التي شنها البابا إيوجينيوس الثالث سنة 1145م لإنقاذ العالم المسيحي الشرقي[123]، وكانت حملة بطرس المبجل حملة فكرية علمية تحتوي على مشروع لترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، وكتابات ضد المسلمين –السراسنة كما سماهم–[124]، والهدف من هذه الحملة تقديم دراسة عميقة للإسلام لزعزعة ثقة المسلمين بدينهم ودعوتهم إلى اعتناق المسيحية، وحض المسيحيين على التمسك بدينهم، وإفساح المجال أمام العلماء المسيحيين بالاطلاع على القرآن الكريم ودراسته ضمن الدراسات التي يقومون بها في الدفاع عن العقيدة المسيحية، ويتضح

---

[121] لقب بـ (Peter Venerable) وتترجم في الكتب العربية بالمبجل أو المحترم أو الموقر أو المعظم.

[122] The Fathers of The Church, Peter the Venerable, Translated by Irven M. Resnick, (Washington D.C, The Catholic University of America Press, 2016) V16, p9-10

و بدوي، عبد الرحمن: **موسوعة المستشرقين**، (بيروت، دار العلم للملايين، ط3، 1993م)، ص110.

[123] رانسيمان، ستيفن: **تاريخ الحملات الصليبية**، ترجمة نور الدين خليل، (د.م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1998م)، ج2، ص288-289.

[124] The Fathers of The Church, Peter the Venerable, V16 p51

ذلك من قوله: "وهذا هو الشأن في العمل الذي أقوم به هنا، فإذا لم يمكن بهذه الطريقة إعادة المسلمين إلى المسيحية الصحيحة، فلا أقل من أن يستفيد العلماء المسيحيون من عملنا في مجال دعم إيمان المسيحيين السذج الذي يمكن أن تضير هذه الصغائر عقيدتهم"[125]، ويظهر أثر يوحنا الدمشقي في حملة بطرس المبجل إذ تأثر به تأثراً كبيراً في هجومه على الإسلام والمسلمين، وسأبين بعضاً منها خلال النقاط التالية:

1- ترجمة القرآن الكريم:

قام يوحنا الدمشقي بترجمة معاني آيات من القرآن الكريم إلى اللغة اليونانية، وكانت هذه من المحاولات الأولى لترجمة القرآن الكريم أو معانيه إلى لغة أخرى، وهذه الترجمة لم تكن دقيقة إذ قام يوحنا بتحريف بعض الكلمات لإيهام القارئ بأنه أمام نص غير جدير بأن يكون مقدساً[126].

وسار بطرس المبجل على خطى يوحنا بأن قام بتشكيل لجنة لترجمة القرآن الكريم ولكنه ترجم القرآن ترجمة كاملة، وأصبحت ترجمته أول ترجمة كاملة للقرآن الكريم من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية، واعتمد عليها الأوروبيون فترة طويلة حتى نهاية القرن 17م، ولكن لم تكن هذه الترجمة دقيقة فقد ترجمت كلمة سورة إلى (أزارا AZARA) لتقريب لفظ هذه الكلمة إلى اللاتينية، أما الفاتحة فقد عدت دعاء تمهيدياً مثل قول المسيحيين في صلاتهم (أبانا الذي في السماوات) ولم تعد سورة، وتم تقسيم السور الطوال إلى فصول قصيرة، وبلغت عدد السور القرآنية 123 سورة

---

[125] سوذرن، ريتشارد، **صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى**، ترجمة رضون السيد، (بيروت، دار المدار الإسلامي، ط2، 2006م)، ص82.

[126] سبق الحديث عن هذه النقطة، ينظر مبحث موقف يوحنا من القرآن الكريم.

بدلاً من 114 سورة كما في المصحف القرآني، وعند ترجمة كلمة مسلم فإنها ترجمت إلى (credere) أي يعتقد أو يؤمن، وتأثر بمقالة عبد المسيح الكندي والتي أشار فيها إلى تأثر النبي صلى الله عليه وسلم بسرجيوس الراهب النسطوري وكذلك عبد الله بن سلام وكعب الأحبار الذين كانوا يهوداً، وما قام به أتباعه من بعد وفاته من التغيير والتحريف في القرآن، وتمت ترجمة الآية القرآنية: ((زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ)) (آل عمران: 14)، إلى مجامعة الأبناء ومعانقتهم[127].

ويرى الباحث بأن هذه الترجمة تأتي ضمن سياق اتهام النبي صلى الله عليه وسلم بأنه صاحب ملذات وشهوات كما ادعى ذلك من قبله يوحنا الدمشقي ومن جاء من بعده، ولكي يكون الاتهام صحيحاً لدى القراء المسيحيين فلابد من ترجمة مثل هذا التشويه لتأييد هذه النظرة والادعاء بأنها من القرآن الكريم الذي هو بزعمهم من تأليف النبي صلى الله عليه وسلم.

2- الادعاء بأن الإسلام هرطقة مسيحية:

تأثر بطرس المبجل بدعوى يوحنا الدمشقي بأن الإسلام هرطقة مسيحية وليس ديناً جديداً، أي أن أصل الإسلام مشتق من المسيحية، يقول عن ترجمته للقرآن الكريم مخاطباً أحدهم: "سأرسل إليك يا عزيزي ترجمتنا الجديدة التي تناقش هرطقة محمد السيئة"[128]، ويظهر من كلامه بأنه أراد ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية لكي يسهل على المسيحيين غير الناطقين بالعربية بمناقشة ما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم من هرطقة، ولكي يثبت دعواه يرى بأن المسلمين هم مسيحيين ولكنهم باعتناق دين محمد أصبحوا مهرطقين خارجين عن الكنيسة ويجب

---

[127] هاغمن، لودفيغ: **مسيحية ضد الإسلام: حوار انتهى إلى الإخفاق**، ص68.

[128] The Fathers of The Church, Peter the Venerable, V16, p28

دعوتهم لكي يعودا إلى أصلهم المسيحي، وهذا الادعاء يظهر من كلامه عند بيانه لهدف ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية يقول: "وهذا هو الشأن في العمل الذي أقوم به هنا، فإذا لم يمكن بهذه الطريقة إعادة المسلمين إلى المسيحية الصحيحة..."[129].

وعن تسمية المسلمين في كتاباتهم فإنه يسميهم (THE SARACENS) أي السراسنة، وهذا المصطلح الذي يراد به تحقير المسلمين وتشبيههم بالغزاة والبرابرة المتغطرسين، ولكنه لكي يستميل المسلمين –بما أنه يدعوهم إلى المسيحية الصحيحة– فيخفف من لهجته قائلاً: "لكن هل يجب تسمية أتباع محمد بالمهرطقين أو الوثنيين؟ أنا لا أقرر ذلك ولكنهم يأخذون بعضاً من الإيمان المسيحي عن طريق الهراطقة"[130]، ثم يتساءل مرة أخرى هل يجب أن يسميهم هراطقة لأنهم مثل الوثنيين يرفضون المعمودية ويبصقون على القربان المسيحي وبقية الأسرار الكنسية[131].

3– التشكيك بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

شكك يوحنا الدمشقي بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم حينما وصفه بكتابه – الهرطقة المئة– بأنه نبي منتحل النبوة، وأنه استمال شعبه ونال حظوة عندهم لكي يثقوا به وبما يدعو إليه[132]، وسار بطرس المبجل على منهج يوحنا بأن وصف النبي صلى الله عليه وسلم بعدة أوصاف يراد منها الإساءة مثل: بدعة محمد السيئة والخبيثة[133]، رجل شرير، عاصي

---

[129] سوذرن، ريتشارد، **صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى**، ص82.

[130] The Fathers of The Church, Peter the Venerable, V16 p68

[131] المرجع السابق.

[132] الدمشقي، يوحنا، **الهرطقة المئة**، ص50.

[133] The Fathers of The Church, Peter the Venerable p28

أثيم[134]، حاول أن يصبح ملكاً تحت عباءة الدين وادعاء النبوة ويهاجم ويسطو على جيرانه لينال الثروة[135]، وقد انضم إليه الراهب المهرطق سرجيوس النسطوري الذي شرح له الكتاب المقدس وزوده بما ينقصه على طريقة معلمه نسطور، وانضم إليه اليهود حتى لا يصير مسيحياً حقيقياً[136].

يرى الباحث بأن بطرس المبجل يحاول بإساءته المتعمدة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بأن يزعزع ثقة المسلمين به، والتشكيك بمكانته في قلوبهم، فهو يدعوهم إلى نبذ دينهم الإسلامي والعودة –كما زعم– إلى المسيحية الصحيحة، ولكي يتم ذلك فلابد من رسم هذه الصورة لكي يتم ما يهدف إليه، والمبالغة في إطلاق الأوصاف السيئة تجاه النبي الكريم لرسم صورة مشوهة في مخيلة المسيحيين لحثهم على عدم اتباعه واتباع دينه الإسلامي وعدم التفكير في ذلك أبداً، ويتضح من خلال ذلك تأثره بيوحنا الدمشقي كما سبقت الإشارة إليه.

المبحث الثاني: الموقف المسيحي والإسلامي المعاصر من يوحنا الدمشقي:

المطلب الأول: الموقف المسيحي المعاصر من يوحنا الدمشقي:

سبق وأن تحدثت عن الموقف المسيحي القديم عن يوحنا الدمشقي من خلال تأثيره الكبير في الجدليين المسحيين من بعده في مطارح متفرقة من البحث، إذ وجدوا فيه نموذجاً منهجياً

---

[134] المرجع السابق، ص36

[135] المرجع السابق، ص38.

[136] المرجع السابق، ص39–40.

للجدل والدفاع عن المعتقدات المسيحية ضد أكبر قوة واجهت المسيحيين وقتذاك، وكانت النظرة تجاه المسلمين تملؤها الحقد والكراهية لأسباب كثيرة منها انحسار المسيحية عن عدة دول كانت تدين لها وانتزعت منهم مدن وأمصار كثيرة، وانقلاب موازين القوى إذ صبت لصالح المسلمين وتوسعت رقعة الدولة الإسلامية وامتد سلطانهم إلى أن وصل إلى أسوار النمسا شرقاً وجنوب فرنسا غرباً، ومصدر الكراهية كانت الموقف السلبي للجدليين المسيحيين وكتاباتهم التي لم تتصف بالموضوعية وكانت حادة في نقد الإسلام وأصوله، وخصوصاً النبي محمد صلى الله عليه وسلم، واتسم هذا الموقف بالعدائية تجاه المسلمين نتجت عنها الكثير من المواقف التي أثرت بشكل سلبي في العلاقة بين المسيحيين والمسلمين، وكان رائد هذه الكتابات هو يوحنا الدمشقي إذ شكلت كتاباته المرجع الأساس في تشكيل النظرة السلبية تجاه الإسلام وأصوله، وامتدت هذه النظرة حتى وقتنا الحالي، وسأتحدث عن الموقف المسيحي المعاصر من يوحنا الدمشقي من خلال بعض الكتابات حول يوحنا الدمشقي إذ لم يتوقف تأثيره في العصور القديمة وإنما امتد حتى أيامنا هذه.

الفرع الأول: يوسف نصر الله في كتابه (منصور بن سرجون المعروف بالقديس يوحنا الدمشقي):

يعد هذا الكتاب من تأليف يوسف نصر الله[137] أشهر ما كتب في سيرة يوحنا الدمشقي في وقتنا الحالي وعد مرجعاً مهماً لاستقاء المعلومات عن سيرة وعصر يوحنا الذي كان معاصراً للدولة الأموية وشاهداً على مرحلة مهمة من تاريخ الإسلام إذ كانت الدولة الأموية من أقوى

---

[137] يوسف نصر الله (Joseph Nasrallah) (1911–1993): كاهن سوري وبطريرك كنيسة الروم الملكيين الكاثوليك لمدة أربعين سنة 1950–1990. ينظر: موقع بطريركية الروم الملكيين الكاثوليك (http://www.melkitepat.org/)

الدول الإسلامية حتى وقتنا الحالي وامتد سلطان الخليفة الأموي إلى أقصى اتساع عرفته الدولة الإسلامية، من الصين شرقاً إلى جنوب فرنسا، وتناول هذا الكتاب المحيط التاريخي لعهد يوحنا بدءاً من سيطرة المسلمين على فلسطين وسوريا، والفتح العربي لدمشق، وسيرة عائلة يوحنا الدمشقي ومن ثم ولادته وسيرته وخدمته في البلاط الأموي ثم اعتزاله في دير سابا وتصديه لبدعة تحطيم الأيقونات، والاشتغال بالتأليف اللاهوتي والأدبي إلى وفاته.

يبدأ يوسف نصر الله كتابه بمقدمة يصف فيها يوحنا بالقديس العظيم الذي ارتبط اسمه باسم مدينة دمشق وهو ملفان الكنيسة الجامعة الذي لقب بمجرى الذهب أو دفاق الذهب أو ناقل الذهب[138]، وهو المعلم الأول الذي تبعه البيزنطيون والغربيون، ومؤلفاته معين لا ينضب اغترف منها الفلاسفة واللاهوتيون بسخاء[139]، وكان له تأثيراً حقيقياً في محيطه الذي كان يجمع المسيحيين والمسلمين وما يجمع بينهما الاحتكاك اليومي من طرح أسئلة عديدة ونقاش، وآل إلى إيضاح النقط الغامضة من كلتا الديانتين، وأثر تأثيراً عظيماً في مسلمي محيطه الذين لم تجد عقولهم المفكرة راحة في التعليم الإسلامي التقليدي، وأثر كذلك في أقدم نزاع عقائدي في الإسلام وهو القول بالقدر،[140]، ويبرر موقف يوحنا السلبي من انتشار الإسلام وتوسع رقعته أنه لا يمكن

---

[138] نسبة إلى نهر بردى الذي يخترق مدينة دمشق انظر: نصر الله، جوزف، **منصور بن سرجون المعروف بالقديس يوحنا الدمشقي**، ص12 وص80.

[139] نصر الله، جوزف، **منصور بن سرجون المعروف بالقديس يوحنا الدمشقي**، ص17.

[140] المرجع السابق، ص109-110.

له أن يكن للإسلام ذلك الحلم والتسامح اللذين اتصف بهما جده ووالده لأن الإسلام تحول إلى دين لا دولة ذلك يعني تراجع الصليب وتقهقر الدين المسيحي[141].

ويدافع يوسف نصر الله عن يوحنا الدمشقي ويثمن موقفه تجاه بدعة محطمي الأيقونات وأصبح بطل الدفاع عن إكرام الأيقونات وهذا ما بعث القوة والشجاعة في قلوب المسيحيين العائشين في ديار الإسلام[142]، وأصبح بطل الإيمان القويم والنور الذي تستمد من الهداية والمعرفة، فيهرعون إليه كلما دعت الضرورة إلى دحض ضلال أو وضع وثيقة عقائدية[143]، ويذكر ليوحنا قصة حدثت له بمثابة معجزة وهي قصة اليد المقطوعة التي عادت إليه من جديد ببركة دعائه أمام أيقونة العذراء، ولكنه ينبذ صحة هذه القصة إذ لم ترد في المصادر سوى ما كتبه ميخائل الراهب والسير المنقولة عنه[144].

يرى الباحث بأن يوسف نصر الله ثمن دور يوحنا الدمشقي في الدفاع عن العقيدة المسيحية، ونسب إليه الفضائل الجمة ولكنه تناسى الدور الكبير الذي لعبه يوحنا في الهجوم على الإسلام وأصوله وخصوصاً النبي محمد صلى الله عليه وسلم، إذ لم يكن موضوعياً في طرحه للعقائد الإسلامية كما ادعى جوزيف بأن يوحنا اطلع على عقيدة المسلمين واعتراضاتهم على الدين المسيحي[145]، فإذا كان يوحنا مطلعاً على الإسلام فلماذا هذه العدائية والحدة والكراهية في

---

[141] المرجع السابق، ص138.

[142] المرجع السابق، ص144.

[143] المرجع السابق، ص158.

[144] المرجع السابق، ص103.

[145] المرجع السابق، ص181.

موقفه؟ ألا يتوجب عليه من باب الموضوعية ونقل الصورة عن الإسلام إلى المسيحيين دون تشويه أو تحريف؟ فإذا لقب يوحنا بدفاق الذهب لسمو فضائله فأين ذلك من هجومه على النبي صلى الله عليه وسلم ووصفه بأقبح الأوصاف؟، ولكنه لم يكن موضوعياً في كتاباته حول الإسلام وأصوله رغم أنه ولد ونشأ وعاش بين المسلمين سنوات طويلة، وبرر جوزيف نصر الله ذلك بأنه رأى تراجع الصليب وتقهقر الدين المسيحي، وهذا الدافع هو الذي جعله يفجر في الخصومة مع المسلمين ويشن عليهم هجوماً حاداً لاذعاً غاب عنه الموضوعية والحقيقة، واستمر هذا الدافع لدى من جاء من بعده من الجدليين المسيحين حتى يومنا هذا.

الفرع الثاني: أسد رستم في كتابيه (كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى) و(الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب):

يذكر أسد رستم[146] في كتابه كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ترجمة ليوحنا الدمشقي ذكر فيها سبب تسميته بدفاق الذهب نسبة إلى نهر دمشق ومنعش غوطتها، وأنه ولد في بيت غنى وجاهة وعلم، وخلف آباءه في الإدارة في دمشق، وقام بأعباء منصبه أحسن قيام مسخراً لذلك مواهبه وعلمه مبادئه المسيحية السامية إلى أن خير بين البقاء في مركزه وبين المحافظة على إيمانه فهجر العالم غير آسف، واعتزل في دير سابا وألف كتبه العديدة منها ما لاهوتي فلسفي وبعضها جدلي وبعضها زهدي، وعن جدله مع الإسلام والمسلمين يذكر بأن الدمشقي اضطر للدفاع عن العقيدة المسيحية ويرد على العقيدة الإسلامية في كتابه الهرطقة المئة وكذلك فصولاً من كتاب ينبوع المعرفة تحمل عناوين في الواحد الأحد والثالوث الأقدس والتجسد الإلهي

---

[146] أسد رستم (1897–1965): مؤرخ لبناني له العديد من المؤلفات منها مصطلح التأريخ، وقلعة طرابلس الشام، ومذكرات عن عكا ورسومها في عهد إبراهيم باشا. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج1، ص279.

وهي ردود على أهل الجدل من المسلمين، ويذكر بأن يوحنا أثر في علم الكلام وتبعه العلماء من بعده في طريقة ترتيب كتبهم الكلامية، فهو يبدأ بمقدمة فلسفية ثم بحث في الملل والنحل، ثم الخوض في صلب الموضوع، وكذلك أخذوا منه طريقة تنسيق الكلام في العقيدة بأن يتناولون أولاً موضوع الله وصفاته ثم أعماله، ثم الحديث عن النبوة بدل الحديث عن المسيح[147].

وفي كتابه الروم يذكر أسد رستم ترجمة ليوحنا ويصفه بأنه كوكب الكنيسة ومعلمها ومقاوم الأعداء يوحنا الحكيم المتأله اللب[148]، ويذكر بأنه ناقش بعض الآيات القرآنية وانتقد وحي القرآن وعادات المسلمين والأخلاق[149].

يظهر مما سبق مدى إعجاب أسد رستم بيوحنا الدمشقي ويصفه في عدة مواضع بلفظ قديسنا[150]، وهذا الإعجاب يأتي مما قدمه يوحنا من جهود للكنيسة من دفاع عن العقيدة المسيحية، وقد أشار بأن يوحنا الدمشقي قد قام بأعباء منصبه أحسن قيام لمواهبه وعلمه مبادئه المسيحية السامية، لم تذكر المصادر عن عمل يوحنا لدى الخلافة سواء بالسلب أو الإيجاب سوى أنه ورث المنصب عن أبيه وجده وذلك لخبرتهم الطويلة في هذا المجال، ويذكر أسد رستم في كتابه ذلك يقول: "فاستعان –أي معاوية– بالنصارى في الحرب والسلم... ولعل السبب في ذلك خدمات منصور –أي جد يوحنا الدمشقي– أيام الفتح واحتياج الفاتحين إلى موظفين إداريين

---

[147] رستم، أسد، **كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى**، ج2، ص78، ص85–86.

[148] رستم، أسد: **الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب**، (المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي سي آي سي، د.ط، د.ت)، ص303.

[149] المرجع السابق، 308.

[150] انظر: رستم، أسد، **كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى**، ج2، ص77، 81، 84، 85.

من ذوي الخبرة والأمانة"[151]، فما علاقة خبرته في هذا المجال –أي مجال الإدارة– بمبادئه المسيحية السامية، وهل عندما تم إقصاء يوحنا من منصبه بسبب أنه تخلى عن مبادئه المسيحية السامية؟.

وفي معرض حديثه عن مؤلفات يوحنا وخصوصاً الجدلية منها ضد الإسلام، فإنه يذكر بأن يوحنا اضطر للدفاع عن العقيدة المسيحية والرد الصريح على العقيدة الإسلامية، وأنه ناقش بعض الآيات القرآنية وانتقد وحي القرآن وعادات المسلمين والأخلاق، فهذا لا يبرر تخلي يوحنا عن الموضوعية والهجوم الحاد على الإسلام وأصوله، وما كتبه لا يعد انتقاداً وإنما هجوماً حاداً وسخرية بهدف التشويه وعدم إيصال رسالة الإسلام إلى المسيحيين بشكل صحيح وضمان عدم اعتناقهم أو ميلهم إلى الإسلام، وهذا يتنافى مع وصفه ليوحنا بأنه كان صديقاً للإسلام.

وقوله عن يوحنا بأنه أثر في علم الكلام وتبعه العلماء من بعده في طريقة ترتيب كتبهم الكلامية، وكذلك أخذوا منه طريقة تنسيق الكلام في العقيدة، فهذا كلام لا دليل عليه إذ كتب يوحنا كتبه باللغة اليونانية ولم تكن هذه اللغة هي المعتمدة عند علماء المسلمين، فكيف يتأثرون بكتابات لغة لا يقرأون بها؟ وقد درج العلماء في تصنيف الكتب العقدية وترتيب المباحث وفقاً لحديث النبي صلى الله عليه وسلم مع جبريل عليه السلام حينما سأله عن الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث»[152].

---

[151] المرجع السابق، ج2، ص76.

[152] أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، ج1، ص27، رقم (50).

المطلب الثاني: الموقف الإسلامي المعاصر من يوحنا الدمشقي:

كانت لكتابات يوحنا الدمشقي دوراً كبيراً في تشكيل رؤية الغرب عن الإسلام وأصوله، وأصبحت مصدراً مهماً للجداليين المسيحيين في كتاباتهم وانطباعهم عن الإسلام والمسلمين، وكان لابد من ردة فعل تجاه ما كتب عن الإسلام وأصوله من أبناء المسلمين أنفسهم، إذ كانت تواجههم تهم وشبهات خطيرة أثارها يوحنا الدمشقي وتلقفها الغرب وبنى عليها رؤيته للإسلام وأصدر أحكاماً بناء على ذلك، ويأتي الدور للمسلم أن يبين مدى خطورة ما كتبه يوحنا الدمشقي وانتقاد ما أثاره من شبهات وتقديم الصورة الصحيحة دون تشويه أو تحريف تجاه الإسلام وأصوله، ومن خلال النقاط التالية سأبين بعض الكتابات التي تناولت شخصية يوحنا الدمشقي وكتاباته:

الفرع الأول: علي بن محمد عودة الغامدي في كتابه (يوحنا الدمشقي رائد العدوان الفكري على الإسلام):

كتب علي بن محمد عودة الغامدي[153] كتابه هذا ضمن مشروعه الذي يدرس حركة التنصير الغربية الموجهة للمسلمين، والعدوان الفكري الذي يستهدف تشويه صورة الإسلام وصورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويدرس هذا الكتاب الاتهامات التي أثارها يوحنا الدمشقي باعتباره الرائد الأول للعدوان الفكري على الإسلام، إذ أثار عدة شبهات منها: أن الإسلام هرطقة من الهرطقات التي انشقت عن النصرانية، وأن النبي صلى الله عليه وسلم تعرف على الكتاب المقدس وأخذ منه، وأنه تعلم على يد راهب آريوسي، وإنكار بشارات الأنبياء السابقين لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وقصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب رضي الله عنها، وتعدد

---

[153] علي بن محمد عودة الغامدي (و1950): مؤرخ سعودي متخصص في العصور الوسطى وله العديد من الدراسات التاريخية. (ينظر سيرته في الموقع الرسمي له: https://alghamdiprof.com/ali/)

الزوجات في الإسلام وغيرها[154]، وانتهى إلى نتيجة بأن يوحنا الدمشقي كان رائد عدوان وليس حوار إذ أصبح الأساس الذي انطلق منه الكتاب المسيحيين من بعده واعتمدوا على كتاباته وآرائه باعتبار أنها حقائق دون التأكد من صحتها، وهو واضع المنهج الأساسي للعدوان الفكري الغربي على الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم[155].

الفرع الثاني: شوقي أبو خليل في كتابه: (هكذا يكتبون تاريخنا يوحنا الدمشقي أنموذجاً):

كتب شوقي أبو خليل[156] كتابه هذا في الرد على كتاب جوزيف نصر الله (منصور بن سرجون التغلبي، المعروف بيوحنا الدمشقي، أو الفتح الإسلامي السهل لمدينة دمشق وأسبابه)، والذي دعاه للرد عليه أنه كتب كتابه دون توثيق أو إشارة إلى المصادر العربية، ويكتب خيالاً لهوى في نفسه ويقلب حقائق التاريخ والإساءة إلى العرب الفاتحين[157].

وما يخص يوحنا الدمشقي فقد كتب عنه أنه هو الحاكم الأصيل أو المؤقت وهو من قام بتسليم المدينة إلى المسلمين[158]، ويبدو أنه أخطأ عندما نسب الأمر إلى يوحنا الدمشقي أو

---

[154] الغامدي، علي بن محمد، **يوحنا الدمشقي رائد العدوان الفكري على الإسلام**، (د.م، د.ن، ط1، 2015م)، ص2-3.

[155] المرجع السابق، ص17

[156] شوقي أبو خليل (1941-2010): كاتب ومؤرخ فلسطيني حصل على إجازة في التاريخ من جامعة دمشق وله عدة كتابات في مجالات التاريخ والحضارة والردود على المستشرقين، منها: الإسلام في قفص الاتهام، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، كارل بروكلمان في الميزان. (ينظر ترجمته في موقع دار الفكر: https://fikr.com/)

[157] أبو خليل، شوقي، **هكذا يكتبون تاريخنا يوحنا الدمشقي أنموذجاً**، (دمشق، دار الفكر، ط1، س2008م)، ص8-9.

[158] المرجع السابق، ص51

منصور كما ينقل عن كتاب جوزيف نصر الله، إذ إن المقصود في كتاب جوزيف نصر الله هو منصور بن سرجون جد يوحنا الدمشقي، وكان معاصراً لفتح المسلمين لدمشق وسلمهم مفاتيح المدينة، أما يوحنا الدمشقي فهو لقب حفيده الذي يحمل نفس اسمه –منصور بن سرجون بن منصور– وقد أطلق عليه هذا اللقب عندما اعتزل في دير سابا حتى وفاته.

وعن تأثير يوحنا في علم التوحيد لدرجة جعله الأساس في تكوين اللاهوت أو علم التوحيد المسيحي، يرد على هذا القول بأن علماء المسلمين يذكرون أستاذتهم وشيوخهم فمن ذكر بأنه أخذ علم التوحيد من يوحنا الدمشقي، ثم ذكراً عدداً من علماء المسلمين في هذا المجال[159]، وعن مؤلف يوحنا الدمشقي محاورة مع مسلم وحرية الإرادة البشرية فهي بمثابة دفاع عن المسيحية، يؤكد بأن هذا هو الدافع الحقيقي ليوحنا الدمشقي، ويرد على شبهته بأن الدخول في الإسلام لم يكن بقوة السلاح والسيف وإنما بصحة العقيدة والحوار والمنطق وسماحة المسلمين الفاتحين[160].

الفرع الثالث: عبد الراضي بن محمد عبد المحسن في بحثه: (الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم):

خصص عبد الراضي بن محمد عبد المحسن[161] في بحثه مبحثاً عن تاريخ الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم، وذكر من ضمن رموز الجدل التنصيري: يوحنا الدمشقي، الذي انتهى إلى عدة آراء جدلية ضد الإسلام والقرآن الكريم والرسول محمد صلى الله عليه وسلم،

---

[159] المرجع السابق، ص113.

[160] المرجع السابق، ص120.

[161] عبد الراضي بن محمد عبد المحسن: أستاذ مساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

وتتلخص في التشكيك في كون الإسلام امتداداً لحنيفية إبراهيم، وأنها هرطقة مسيحية، وإطلاق لفظ السرازانيين على المسلمين، وجعل النبي محمد صلى الله عليه وسلم أحد أتباع آريوس، وجعله على عقيدة المذهب النسطوري، وذلك لأنه أكد على أن المسيح مخلوق وإنسان مجرد وهذا ما قال به آريوس ونسطور، والقرآن نتاج لأحلام اليقظة لأن النبي صلى الله عليه وسلم تلقاه وهو نائم[162].

يؤكد الكاتب على دور يوحنا الدمشقي في تشكيل رؤية مشوهة للإسلام وأصوله لدى الغرب المسيحي، وهذه الرؤية قائمة على عدة اتهامات للنبي صلى الله عليه وسلم وأنه تعلم على يد راهب آريوسي ونسطوري، وبمراجعة كلام يوحنا نجد بأنه يتهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه تحاور مع راهب آريوسي[163]، وكلمة تحاور هنا لا تعني بأنه أصبح تابعاً له وإنما أخذ منه، فالباحث لا يتفق مع الكاتب في جعل يوحنا للنبي صلى الله عليه وسلم تابعاً لآريوس وإنما تحاور مع راهب آريوسي، وهذه التهمة أخطر من أن يكون تابعاً له إذ إنها تحمل اتهاماً آخر للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه تحاور مع راهب آريوسي لكي يحرز لنفسه حظوة لدى الشعب عبر تظاهره بالتقوى، فإن كان تابعاً لبقي تحت مظلة آريوس ولعظم المسلمين آريوس ودعوته، ولكن اتهام يوحنا بأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الأمر لصالحه عبر التحاور مع الراهب الآريوسي لضمان اتباع المسلمين له لا اتباعهم آريوس.

---

[162] عبد المحسن، عبد الراضي محمد: الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، البحث مقدم ضمن بحوث ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، المنعقدة في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، سنة1421هـ الموافق سنة 2000م، المحور الخامس دفع الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم، ص136-137

[163] الدمشقي، يوحنا، **الهرطقة المئة**، ص50.

وفي الختام يؤكد الباحث على ريادة يوحنا الدمشقي وآرائه في تشكيل صورة للإسلام وأصوله وجعلها قوالب جدلية مكثفة والتي أصبحت ركيزة الجدل التنصيري، وجاء الجدليين من بعده واتخذوا آراءه منهجاً لهم للطعن في الإسلام وأصوله ونبيه صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث: يوحنا الدمشقي في الإعلام المرئي:

يتناول هذا المطلب الحديث عن يوحنا الدمشقي في الإعلام المرئي وكيف تم تناول هذه الشخصية ودوره في تشكيل صورة الإسلام وأصوله ونبيه صلى الله عليه وسلم لدى الغرب المسيحي، وقد تم اختيار برنامجين من الإعلام المسيحي العربي يتحدثان عن يوحنا الدمشقي وكتاباته وموقفه من الإسلام، وهما كالتالي:

الفرع الأول: برنامج (أولاد إبراهيم) على قناة (الكرمة) بعنوان (يوحنا الدمشقي):

تقديم: صموئيل فوزي، ضيف الحلقة: القس نادر حنا، تاريخ نشر الفيديو على موقع YOUTUBE: 2018/10/26، عدد المشاهدات: 20,240 مشاهدة[164].

يبدأ مقدم البرنامج بمقدمة عن يوحنا الدمشقي وعن كتاباته التي وصفها بالعنيفة والظروف المحيطة ببداية الإسلام في القرن الأول الهجري، ويوضح أهمية الموضوع لأنه يلقي الضوء على كيفية ظهور الإسلام ومعرفة الموقف المسيحي تجاهه، ويوجه الكلمة للضيف وهو

[164] حتى لحظة كتابة هذه السطور.

القس نادر حنا الذي تحدث عن حياة يوحنا الدمشقي ومن ثم تناول موضوع كتاباته عن الإسلام وأصوله من خلال النقاط التالية:

1- الجدل اللاهوتي في عهد يوحنا:

يوضح نادر حنا بأن الجدل اللاهوتي أو الحوار في عصر يوحنا كان جدلاً لاذعاً سواء كان حواراً إسلامياً – مسيحياً، أو إسلامي – إسلامي، أو مسيحي – مسيحي، فكانت الحدة والسخرية من سمات ذلك العصر، وهو يعتذر للمشاهد إذا اقتبس من أقوال يوحنا الدمشقي ما يدل على ذلك فهو يؤكد بأن هذه ليست طريقتهم – أي المسيحيين الآن – في الجدل والحوار.

2- أهمية كتابات يوحنا الدمشقي:

تأتي أهمية كتابات يوحنا الدمشقي الذي ولد قبل العصر العباسي الذي تم فيه تدوين واستحداث العلوم الإسلامية، مثل علم التفسير والقراءات والحديث والفقه والكلام... إلخ، بأن لديه رؤية سابقة لكل هذه الكتابات وإن كانت مغايرة، فمثلاً في علم الحديث هناك أصوات إسلامية وغير إسلامية تستنكر الأحاديث لأنها تخالف العقل والأخلاق، وليوحنا الدمشقي بعض التفسيرات والأفكار الإسلامية المختلفة عن ما كتب لاحقاً من الأحاديث والتفاسير، واستشهد بكتاب (صحيح البخاري نهاية أسطورة)، ومؤلف هذا الكتاب مسلم ومؤمن ويصلي على النبي – صلى الله عليه وسلم– في أحاديثه ولقاءاته، ولكنه يرفض الحديث ويرفض كتاب البخاري، ويختلف عمله في كتابه هذا عن السابقين بأنه وجه نقداً علمياً للمخطوطات التي دونها البخاري، عن طريق تحليلها تحليلاً أكاديمياً، وتوصل إلى نتيجة بأن صحيح البخاري لا علاقة له بالإمام البخاري وإنما كتبه عدة أشخاص في عدة أجيال، وتلونت الكتابة بحسب السلطة السياسية التي استخدمت علوم الدين لفرض سيطرتها على الشعب.

3- اختلاف النص القرآني في عهد يوحنا:

يذكر نادر حنا بأن القرآن كان مختلفاً زمن يوحنا الدمشقي، فكلمة مسلم وإسلام لم تكن متداولة بعد، أي أن الغزاة العرب لم يطلقوا هذا الاسم على أنفسهم، ولم يطلقها عليهم المؤرخين من الديانات الأخرى، حتى أن يوحنا في كتاباته لم يسميهم بالمسلمين، والنص القرآني لم يكن مثبتاً في صورته الحالية فهو يشير إلى نسخ مختلفة من النص القرآني فيما يختص بموضوع واحد أحياناً مثل الحجر الأسود، وناقة الله.

4- أحوال المسيحيين في عهد يوحنا:

يذكر بأنه منذ غزو العرب لدمشق تم الإبقاء على المسيحيين في مناصبهم لحاجة الدولة إليهم ولم تكن هناك أي إساءات للمسيحين، وفي عهد عبد الملك بن مروان بدأ بإقلاق المسيحيين، وفي عهد الوليد تم إصدار قرار غير فعال بإقصاء جميع الموظفين المسيحيين من مناصب الدولة، ولكنه كان قراراً غير فعال إذ لم تكن الدولة جاهزة لهذا القرار لعدم وجود بديل لهم ولم يكتسب العرب خبرة بعد في العمل في مناصب الدولة، وفي عهد عمر بن عبد العزيز بدأ اضطهاد وقتل وإقصاء نهائي لغير المسلمين من العمل العام وهو أول خليفة يحث غير العرب على اعتناق الإسلام، وهناك بعض المسيحيين ارتدوا عن المسيحية واعتنقوا الإسلام حفاظاً على وظائفهم، وفي نهاية عهد عمر ترك يوحنا منصبه واعتزل في الدير.

وفي ختام الحلقة يعرض ما كتبه يوحنا في قضية صلب المسيح في رأي محمد، إذ ورد في القرآن بأنه لم يصلبوا سوى خياله، وهذا تم تغييره لاحقاً بأن أوجدوا فكرة البديل أي إسقاط الشبه على شخص آخر، وما سمعه يوحنا من مسلمي زمانه بأن الصلب كان خيالاً، وليس فكرة الشبه التي جاءت فيما بعد في القرون التالية.

تعقيب:

يرى الباحث بأن هذه الحلقة كانت لإثارة الشبهات التي أثارها يوحنا منذ القرن السابع الميلادي من جديد، فما أثاره يوحنا من اتهامات تجاه الإسلام وأصوله وتبناه الكثير من الجدليين من بعده كفيلة بأن تباعد بن المسلمين والمسيحيين، وتعيق أي جهود لبناء حوار جاد بينهم، إذ كانت الشبهات المثارة مما تمس صميم عقيدة المسلم وإيمانه بدينه والإساءة الفاحشة إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، فلا يمكن أن تحاور شخصاً بهدوء وأن تهاجمه وتصفه بأقبح الصفات في نفس الوقت!.

ويلاحظ الباحث بأن مقدم البرنامج وضيفه رغم تبينهم لآراء يوحنا تجاه الإسلام وأصوله ولكنهم يستنكرون ضمناً الأسلوب الساخر واللاذع الذي تبعه يوحنا في خطابه، فكانت الحلقة تدار بأسلوب حواري يشوبها الاعتذار من المسلمين في بعض المطارح التي هاجم يوحنا الإسلام بقسوة واستخدم الألفاظ الخادشة للحياء.

ومن الملاحظ بأن الحلقة تم استغلالها لإثارة بعض القضايا الاجتماعية مثل ختان الإناث، وزواج المرأة من رجل آخر حتى تعود إلى زوجها الأول، وتم عرض وثائقي يستنكر هذا الفعل وأن النساء المسلمات في ضيق وحرج بسببها، وأن هناك مواقع إسلامية توفر المحلل للمرأة المطلقة مقابل مبلغ مالي يتزوجها ويطلقها لكي تعود لزوجها الأول، وكانت البداية من يوحنا إذ أثار هذه الشبهة وأيده الضيف دون أن يذكر الرأي الصحيح للإسلام في هذه المسألة، إذ ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على حرمة هذا الفعل: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا أخبركم بالتيس المستعار؟)) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (هو المحلل، لعن الله

المحلل والمحلل له)[165]، وما تفعله هذه المواقع تمثل نفسها ولا تمثل الإسلام في شيء إذ تأتي بشيء مخالف لتعاليمه، ولا يجوز نسبة هذا الفعل للتشريع الإسلامي.

وكان التركيز الكبير في الحلقة التشكيك في مصدر القرآن الكريم والادعاء بأنه نص بشري من وضع النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه استقر في صورته النهائية في عهد عبد الملك بن مروان، فهذا يجانب الحقيقة إذ بدأ بجمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق ثم اكتمل في عهد عثمان رضي الله عنهما[166]،وما عرضه الضيف من شبهات يوحنا حول الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم ولاهوت المسيح والصليب وغيرها فقد تم عرضها في الفصل الثاني عند الحديث عن يوحنا وموقفه من الإسلام وأصوله.

الفرع الثاني: برنامج (بكل وضوح) على قناتي (الكرمة والأخ رشيد) بعنوان: (ماذا قال يوحنا الدمشقي عن الإسلام؟):

تقديم: رشيد حمامي[167]، تاريخ نشر الحلقة على قناة الأخ رشيد في موقع (YOUTUBE): 2021/12/09، وعدد المشاهدات: 275,416 مشاهدة، وعلى قناة الكرمة بتاريخ 2021/12/10: 80,155 مشاهدة[168].

---

[165] أخرجه ابن ماجه في **جامع السنن**، كتاب أبواب النكاح، باب: المحلل والمحلل له، ص415، رقم (1936) وقال: حسن لغيره.

[166] أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ج4، ص1908، رقم (4702).

[167] رشيد حمامي (و1971): إعلامي مغربي تحول من الإسلام إلى المسيحية في شبابه بعد تأثره بإذاعة مونتي كارلو وانتقل إلى قبرص بعد رفض والده لتغييره دينه، يقدم برنامج بكل وضوح على اليوتيوب للدفاع عن المسيحية وانتقاد الإسلام ويحظى بمشاهدات عالية. (انظر: موسوعة عريق
(https://areq.net/m/%D8%A3%D8%AE_%D8%B1%D8%B4%D9%8A%D8%AF.html

يبدأ رشيد مقدمة برنامجه بالحديث عن أهمية الحلقة التي تلقي الضوء على جانب خفي لا يعلمه عن الإسلام المبكر، والتفاعل والجدل الإسلامي المسيحي، وأوضح أنه اعتمد في الحلقة هذه على كتاب يوحنا الدمشقي (الهرطقة المئة)، وبعد أن تناول شيئاً من سيرة حياة يوحنا يذكر الجدل مع الإسلام والمسلمين من خلال النقاط التالية:

1- ديانة الإسماعيليين والساريين بدلاً من الإسلام:

يذكر مترجم كتاب (الهرطقة المئة) بأن يوحنا لم يكتب عنواناً للنص، وإنما بدأ بذكر ديانة الإسماعيليين ولا يسميها الإسلام، والمسلمين يسميهم بالساريين (نسبة إلى سارة)، ويعلق رشيد على هذا الكلام بأن كلمة إسلام لم تكن تستخدم في عهده كما تستخدم حالياً، وكلمة ساري تعني سراسين، وليس كما نسب مترجم الكتاب الكلمة إلى سارة، إذ إن جذر هذه الكلمة ليس معروفاً، ولا يمكن أن يطلق يوحنا على المسلمين اسم هاجريين وساريين بنفس الوقت، وقد تعود الكلمة إلى سراسين أو سراقين، إذ كانوا يغزون وينهبون.

2- صلب المسيح في القرآن الكريم:

كتب يوحنا عن صلب المسيح في القرآن بأنه تم صلب خيال المسيح وأن الله أخذه إلى جواره وحوار الله مع عيسى عندما سأله: هل قلت أنك ابن الله أو أنك الله؟، وهذا يدل على أن هذه الآيات كانت موجودة في القرآن حتماً، وصلب خيال المسيح كما ذكر يوحنا يدل على أن المسلمين اعتقدوا بأن اليهود صلبوا خيال المسيح، وهذه عقيدة غنوصية إذ إن الشكل شكل المسيح ولكنه شكل هلامي، وبالتالي كلمة (شبه لهم) كانت فكرة غنوصية أخذها المسلمون الذين

---

(168) حتى لحظة كتابة هذه السطور.

كانوا يعتبرون أن المسيح ليس له جسداً مادياً، لأنه لا يمكن للإلهي المقدس أن يختلط بالمادة المدنسة وهذا هو الفكر الغنوصي، والجسم الذي كان لدى المسيح كان جسماً هلامياً، نوع من الطيف، وحين صلبوه صلبوا الخيال أما المسيح الحقيقي فصعد إلى الله، وهذا الاعتقاد تم تغييره لاحقاً عند المفسرين المسلمين الذي فسروا الآية بأن الذي صلب شخص آخر، أي وقع شبه المسيح على شخص آخر وتم صلبه ولم يصلب المسيح.

3- نقد الوحي:

ينتقد رشيد فكرة قصة الوحي، ويؤكد بأن قصة الوحي في عهد يوحنا ليست هي القصة التي لدينا الآن، فقد تم تغيير بعض العناصر المهمة فيها، ويستنتج أن القصة الإسلامية لبدء الوحي ونزول القرآن على محمد هي رؤية في النوم، وتم تحريفها لاحقاً وعبر مراحل لتصبح قصة حقيقية، وأنه ليس هناك شهوداً على ادعائه للنبوة ونزول الوحي عليه، وما يورده ابن إسحاق جاء بعد عصر يوحنا إذ لم تكن هناك أجوبة للأسئلة التي طرحها يوحنا بعد، وإلا لكان فندها ورد عليها.

4- المسيح كلمة الله وروحه:

يسلط الضوء على جدل يوحنا مع المسلمين بعد اتهامهم للمسيحيين بالشرك، فيجادل يوحنا بشأن المسيح كلمة الله وروحه ويعد المسلمين مشوهين الله إذا نفوا عنه الكلمة والروح، فإذا كانت الكلمة والروح في الله فيكون هو الله بالتأكيد، أما إذا كان خارج الله، فيكون الله بدون كلمة وبدون روح، وهذا الجدال الرائع – كما يقول رشيد– يعد دليلاً على قوة وتمكن يوحنا الدمشقي في مجادلة خصومه وهذا يظهر في مؤلفه مناقشة بين مسلم ومسيحي، حيث يضع يوحنا تقنيات

للجدل مع المسلمين، وأنه في هذه المسألة زرع بذرة القول بخلق كلام الله قبل أن يتم تداولها في العصر العباسي في عهد المأمون.

5- زواج النبي صلى الله عليه وسلم:

يعرض رشيد النص الذي كتبه يوحنا في زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب وطلبه من زيد بأن يطلقها لكي يتخذها لنفسه زوجة بأمر من الله، ويعلق بأن هذه القصة بلغت من الشهرة مبلغاً حتى ذكرها يوحنا في نصه، وكذلك سنه للزواج من أربعة نساء في وقت واحد واتخاذ ألف خليلة إن أمكن، وسن الطلاق ولا يمكن للمرأة المطلقة أن ترجع لزوجها حتى يتزوجها رجل آخر وهو المحلل.

وفي ختام الحلقة أكد رشيد على أن يوحنا كان على معرفة بالإسلام وأصوله، وأن القرآن ليس كتاب ذي قيمة ولا يستحق الرد، وأن سيرة النبي محمد ومعجزاته ودلائل نبوته كتبت لاحقاً.

تعقيب:

يوضح مقدم البرنامج في هذه الحلقة بأن الهدف من دراسة كتاب يوحنا (الهرطقة المئة) هو الاطلاع على الجانب الخفي من الإسلام المبكر، وأن ما كتبه يوحنا يعد وثيقة مهمة لما عاشه في تلك الفترة، وأنه كتب عن عقائد الإسلام قبل أن يتم تغييرها لاحقاً، ولكنه لم يوضح لماذا لجأ يوحنا إلى الإساءة إلى الإسلام والمسلمين رغم أنه باستطاعته أن ينقد الإسلام نقداً موضوعية دون إساءة وتشويه فهو كما قال عنه على ثقافة واسعة واطلاع على الفلسفات ويعرف ثلاث لغات!.

يركز مقدم البرنامج في حلقته على الشبهات التي أثارها يوحنا، والتي تم عرضها سابقاً في هذا البحث، ويعلق عليها بما يجعله متفقاً مع يوحنا فيما كتبه، وهو يعرض هذه المسائل من باب الاطلاع والمناقشة كما ادعى ولكنه عند أول مناقشة جدية تهرب من الإجابة كما حدث قبل نهاية الحلقة حين سمح باستقبال اتصالات المشاهدين وملاحظاتهم حول ما دار في الحلقة، وفي اتصال من شخص –يبدو من حديثه بأنه مسلم– طلب منه أن يبين المغزى من زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب وطلاقها من زيد ابنه بالتبني، وأن الله أمر ذلك لكي يبطل عادة التبني الذي كان شائعاً في ذلك الوقت، ولكن مقدم البرنامج تجاهل هذه النقطة وتم قطع الاتصال –دون إبداء السبب– وأصر على أن الزواج كان اشتهاء.

ذكر مقدم البرنامج بأن المسلمين في البداية كانوا يعتقدون بأن المسيح ليس له جسداً مادياً، والجسم الذي كان لدى المسيح كان جسماً هلامياً، نوع من الطيف، وحين صلبوه صلبوا الخيال أما المسيح الحقيقي فصعد إلى الله، لم يذكر مصدر هذا الكلام ومن أين استقاه، وهل يؤمن المسلمون فعلاً بهذا الكلام؟ يشهد القرآن الكريم بغير ذلك إذ هو بشر ورسول من الله ورفعه إليه.

يرى الباحث بأن هذه الحلقة كانت لزيادة الشقاق بين المسلمين والمسيحيين عن طريق تسليط الضوء على شخصية أثارت جدلاً واسعاً منذ ظهوره حتى يومنا هذا، وكان الأولى به أن يعرض ما له وما عليه، لا أن يؤيده في كل ما ذهب إليه حتى لو لم يكن موضوعياً في طرحه.

الخاتمة: أبرز النتائج والتوصيات:

وفي الخاتمة سأذكر أبرز النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث على النحو التالي:

أولاً: أبرز النتائج:

1- عاصر يوحنا الدمشقي الدولة الأموية التي أسهمت في إكمال مهمة الخلفاء الراشدين من قبلهم في نشر الإسلام في ربوع الأرض حتى وصلت إلى الصين شرقاً وجنوب فرنسا غرباً، وتميز هذا العصر بأنه كان عصر تأسيس دولة وظهور الإدارات والدواوين التي سهلت مهمة تسيير شؤون الدولة، وكان يوحنا جزءاً من الإدارة المالية في دمشق، حيث ورث منصبه من أبيه وجده، وبقي في منصبه حتى إقصائه واعتزاله.

2- اعتزل يوحنا في دير سابا وكتب كتاباته التي شن الهجوم فيها على الإسلام وأصوله، وأصبحت هذه الكتابات من المصادر التي اعتمد عليها الغرب في تشكيل صورة حول الإسلام وأصوله، دون التأكد من مدى صحتها ودوافع كاتبها مما يجعلها غير موضوعية وغير منصفة بحق الإسلام.

3- كتب يوحنا الدمشقي عدة شبهات وصلت آثارها إلى عصرنا الحالي منها: إطلاق لقب خرافة الإسماعيليين على الدين الإسلامي والمسلمين واتهامهم بالوثنية وإطلاق لفظ سارسين عليهم من باب التحقير والمهانة، وقد وضع مناقشة على شكل حوار بين مسلم ومسيحي حول مواضيع جدلية مثل: حرية الإنسان وعدالة الله، وهل أقوال الله مخلوقة أم غير مخلوقة؟، وطبيعة

الكلمة والتجسد، والهدف من هذه المناقشة تسليح المسيحي بالردود الجدلية لمواجهة المسلم وتشكيكه بعقيدته.

4- تناول يوحنا القرآن الكريم في كتاباته بشيء من السخرية والاستهزاء، بينت أنه لم يقرأ القرآن قراءة موضوعية وإنما سبقتها العاطفة المليئة بالكراهية تجاه الإسلام وأصوله، وترجم آيات منه إلى اللغة اليونانية لتصبح هذه من المحاولات الأولى لترجمة القرآن إلى لغة أخرى، وقد تبعه من بعده الكثير من المتأثرين به والسائرين على خطاه، وأصبحت ترجماتهم معتمدة في الغرب برغم أنها حوت الكثير من الأخطاء والتشويه، لذلك عدت هذه المحاولات غير منصفة ولم توصل القرآن الكريم بمعناه الصحيح إلى الغربي المسيحي.

5- هاجم يوحنا الدمشقي النبي محمد صلى الله عليه وسلم واتهمه بانتحال النبوة وإنكار شهادة الرسالات السماوية السابقة التي بشرت به، وإنكار الوحي وأنه تعرف على العهدين القديم والجديد وتحاور مع راهب آريوسي، واستمر أثر هذه الشبهة في الغرب حتى وقتنا الحالي إذ تناولها الكثير من المستشرقين وعدوها مطعناً في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، واعتبار الإسلام هرطقة مسيحية وليس ديناً جديداً، والطعن في زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب رضي الله عنها، واستمرت هذه الشبهة في التداول لتسهم في تشكيل صورة شهوانية عن النبي صلى الله عليه وسلم عند الغرب المسيحي.

6- حاز يوحنا على مكانة رفيعة عند المسيحيين وأصبحت كتاباته مرجعاً لهم دون أن يعيدوا النظر فيها، وتأثر به العديد من الجدليين المسيحيين، منهم: ثاذوروس أبو قرة الذي أكمل مسيرة يوحنا في الهجوم على الإسلام وأصوله، وتداول عدة شبهات مثل: الدفاع عن الأيقونات المقدسة، وزواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب رضي الله عنها واتهامه بأنه هواها، واتهام

المسلمين بالوثنية عن طريق تعظيم الحجر، وكذلك عبد المسيح الكندي الذي تداول شبهات منها: التشكيك بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، واتهام الإسلام بالوثنية، والتشكيك بمصدر القرآن الكريم، ومن المتأثرين أيضاً بطرس المبجل الذي تابع يوحنا في ترجمة القرآن الكريم ولكن إلى اللاتينية وقدم ترجمة مشوهة لزعزعة ثقة المسلمين بدينهم وإبعاد أنظار المسيحيين عن الإسلام، وقد تأثر بيوحنا الدمشقي وكتب عدة شبهات منها: الادعاء بأن الإسلام هرطقة مسيحية، والتشكيك بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

7- اتسم الموقف المسيحي المعاصر بتمجيد شخص يوحنا وتأييده فيما كتبه عن الإسلام وما أثاره من شبهات، ومنها: تناول جوزف نصر الله لسيرة يوحنا ودفاعه عنه وتبرير موقفه السلبي من الإسلام بأنه كان بسبب تراجع الصليب وتقهقر الدين المسيحي، ودفاع أسد رستم عن يوحنا وأنه اضطر للدفاع عن عقيدته المسيحية بالرد على العقيدة الإسلامية في كتابه الهرطقة المئة.

8- شهدت كتابات يوحنا وإثارته للشبهات حول الإسلام وأصوله ردة فعل عند المسلمين، إذ قاموا بالتحذير منه والرد عليه، فقد اعتبره علي بن محمد الغامدي رائد العدوان الفكري على الإسلام، واستنكر شوقي أبو خليل أن يكون ليوحنا أثراً في علم التوحيد، وحذر عبد الراضي بن محمد عبد المحسن من آراء يوحنا الجدلية التي تتلخص في التشكيك بالإسلام وعده هرطقة مسيحية، واتهام النبي صلى الله عليه وسلم بأنه تأثر بأحد أتباع آريوس، والقول عن القرآن بأنه نتاج لأحلام اليقظة.

9- وصل تأثير يوحنا إلى الإعلام المرئي إذ تم تداول حلقتين عنه، وأبرز ما جاء فيها: التأكيد على أهمية كتابات يوحنا لأنها تلقي الضوء على كيفية ظهور الإسلام ومعرفة الموقف

المسيحي تجاهه، التشكيك بالنص القرآني وأنه كتب على عدة مراحل ومن عدة شخصيات، وانتقاد قصة الوحي وإنها تعرضت للتغيير والتحريف، وزواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب رضي الله عنها، وإثارة بعض القضايا الاجتماعية مثل: ختان الإناث وزواج المرأة من رجل آخر حتى تعود لزوجها الأول.

10- كان موقف يوحنا من الإسلام وأصوله موقفاً عنيفاً غير موضوعي وغير منصف، لذلك يعد يوحنا رائد عدوان وليس رائد حوار كما ادعى المدافعون عنه، وما أثاره من شبهات زاد من الشقاق بين المسلمين والمسيحيين، ويعد من معوقات الحوار الإسلامي المسيحي.

ثانياً: التوصيات:

1- معالجة ما يثير الشقاق بين المسلمين والمسيحيين والتركيز على القضايا المشتركة التي تعزز التعايش والحوار بأسلوب هادئ ومفيد بعيداً عن التعصب والكراهية.

2- نشر الوعي بين المسلمين والمسيحيين بضرورة التعاون والتفاهم ومد جسور التواصل بينهم لإيجاد حلول للأزمات المعاصرة التي يتعرض لها أتباع الدينين من هجمات الملحدين والمشككين بالدين.

3- دعوة المسيحيين إلى التعرف على الأصول الصحيحة للدين الإسلامي بعيداً عما كتبه يوحنا الدمشقي وأمثاله الذين قدموا لهم نسخة مشوهة للإسلام وأصوله.

4- دعوة المسلمين إلى التمسك بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من اتباع أحسن السبل في الدعوة وإيصال رسالة الإسلام الصحيحة إلى أتباع الأديان الأخرى ولا سيما المسيحيين المجاورين لهم منذ قرون.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

- القرآن الكريم.

1- أبو النصر، عمر، **الحضارة الاموية العربية في دمشق**، (بيروت، مطبعة روطوس، د.ط، 1948م).

2- أبو خليل، شوقي، **الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة**، (بيروت ودمشق، دار الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر دمشق، إعادة ط1، 2002م).

3- أبو خليل، شوقي، **هكذا يكتبون تاريخنا يوحنا الدمشقي أنموذجاً**، (دمشق، دار الفكر، ط1، س2008م).

4- الآلوسي، نعمان محمود، **الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح**، (القاهرة، دار البيان العربي، ط1، 1987م).

5- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، **الصحيح**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (دمشق، دار ابن كثير ودار اليمامة، ط5، 1993م).

6- البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، **فتوح البلدان**، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، (بيروت، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، د.ط، 1987م).

7- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، **الآثار الباقية من القرون الخالية**، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2008م).

8- الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس، **الوزراء والكتاب**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، (القاهرة، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1938م).

9- الدمشقي، يوحنا، **الدفاع عن الأيقونات المقدسة**، (د.م، د.ن، د.ط، 1997م).

10- الدمشقي، يوحنا: **المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي**، تعريب: أدريانوس شكور، (بيروت، منشورات المكتبة البولسية، ط1، 1984م).

11- الدمشقي، يوحنا، **الهرطقة المئة**، (د.م، د.ن، د.ط، 1997م).

12- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985م).

13- الزبيدي، محمد مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء، نشر خلال 1965-2001م).

14- الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، (بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002م)

15- الصلابي، علي، **الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار**، (بيروت، دار المعرفة، ط2، 2008م).

16- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: دار المعارف، ط2، 1967م).

17- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (د.م، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 2001م).

18- الطبري، علي بن ربن: **الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: عادل نويهض، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط1، 1973م).

19- الغامدي، علي بن محمد، **يوحنا الدمشقي رائد العدوان الفكري على الإسلام**، (د.م، د.ن، ط1، 2015م).

20- الغزالي، محمد، **فقه السيرة**، (دمشق، دار القلم، ط1، 1427هـ).

21- **الكتاب المقدس**، (بيروت، المطبعة الأمريكانية، ط1، 1948م).

2- **الكتاب المقدس**، (لبنان، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ط4، 1995م).

23- الكندي، عبد المسيح بن إسحاق، **رسالة الكندي مع تعليقات ويليام موير**، (مأخوذة من الطبعة الثانية الصادرة في لندن 1887م).

24- المخلصي، أغابيون جورج أبو سعدى، **المسيحية العربية والمشرقية**، (د.م، د.ن، ط2، 2016م).

25- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين: **التنبيه والإشراف**، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2009م).

26- اليازجي، كمال: **يوحنا الدمشقي آراؤه اللاهوتية ومسائل علم الكلام**، (د.م، منشورات النور، د.ط، 1984م).

27- اليسوعي، وفيق نصري، **أبو قرة والمأمون: المجادلة**، (بيروت، مركز التراث العربي المسيحي للبحث والتوثيق والنشر، ط1، 2010م).

28- إيرفينغ، واشنطن، **محمد صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه**، ترجمة: هاني يحيى نصري، (الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 1999م).

29- بالحاج صالح، سلوى: **المسيحية العربية وتطوراتها**، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 1997م).

30- بالنور، إيمان علي: **دور الموالي في سقوط الدولة الأموية**، (بنغازي: منشورات جامعة قاريونس بنغازي ليبيا، ط1، 2008م).

31- بدوي، عبد الرحمن: **موسوعة المستشرقين**، (بيروت، دار العلم للملايين، ط3، 1993م).

32- بودلي، ر.ف، **الرسول حياة محمد**، ترجمة: محمد محمد فرج وعبد الحميد جودة السحار، (د.م، مكتبة مصر، د.ط، د.ت).

33- حتي، فيليب، **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**، (بيروت، دار الثقافة، ط1، 1959م).

34- خليفة بن خياط أبو عمرو، **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق أكرم ضياء العمري، (الرياض دار طيبة، ط2، 1985م)، ص203.

35- خماش، نجدت: **الشام في صدر الإسلام**، (دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1978م).

36- رانسيمان، ستيفن: **تاريخ الحملات الصليبية**، ترجمة نور الدين خليل، (د.م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1998م).

37- رستم، أسد: **الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب**، (المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي سي آي سي، د.ط، د.ت).

38- رستم، أسد، **كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى**، (المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي، ط1، 2021م).

39- زرزور، عدنان محمد، **علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه**، (الأردن، عمان، دار الأعلام، ط1، 2005م).

40- سوذرن، ريتشارد، **صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى**، ترجمة رضون السيد، (بيروت، دار المدار الإسلامي، ط2، 2006م).

41- عبد اللطيف، عبد الشافي محمد، **العالم الإسلامي في العصر الأموي**، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 2008م).

42- عبده، سمير، **دور المسيحيين في الحضارة العربية الإسلامية**، (دمشق، دار حسن ملص، ط1، 2005م).

43- علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، (بيروت، دار الساقي، ط4، 2001م).

44- أبو قرة، ثاذوروس، **ميمر في إكرام الأيقونات**، تحقيق: اغناطيوس ديك، (لبنان، المكتبة البولسية، د.ط، 1986م).

45- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، **أحكام أهل الذمة**، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري (الدمام، رمادي للنشر، ط1، 1997م).

46- ابن كثير: أبو الفداء اسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (د.م، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1997م).

47- كرد علي، محمد: **الإسلام والحضارة العربية**، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي سي آي سي، د.ط، 2017م).

48- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه، **جامع السنن**، تحقيق: عصام موسى هادي، (الجبيل، السعودية، دار الصديق للنشر، ط2، 2014م).

49- محفوظ، نجيب، **أولاد حارتنا**، (القاهرة، دار الشروق، ط13، 2014م).

50- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، **الصحيح**، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، (مصر، دار البيان العربي، د.ط، 2006م).

51- منصور، طارق: **المسلمون في الفكر المسيحي العصر الوسيط**، (القاهرة، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2008م).

52- نصر الله، جوزف، **منصور بن سرجون المعروف بالقديس يوحنا الدمشقي**، ترجمة: أنطون هبي، (بيروت، منشورات المكتبة البولسية، ط1، 1991م).

53- هاغمن، لودفيغ: **مسيحية ضد الإسلام: حوار انتهى إلى الإخفاق**، ترجمة محمد جديد، (دمشق، قدمس للنشر والتوزيع، ط1، 2004م).

54- ابن هشام، عبد الملك بن هشام، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1955م).

المراجع باللغات الأجنبية:

1- The Fathers of The Church **ST**. **John of Damascus Writings**, Translated by Frederic H. Chase, JR, (The Catholic University of America press, Washington D.C, first short-run reprint 1999).

2- The Fathers of The Church, **Peter the Venerable**, Translated by Irven M. Resnick, (Washington D.C, The Catholic University of America Press, 2016).

3- Thomas, David and Roggema, Barbara, **Christian–Muslim Relations**, A Bibliographical History, (Leiden, Boston, Brill, 2009).

4- Raymond Le Coz, **Jean Damascène Écrits sur l'Islam**, Les éditions du cerf, 29, Bd De Latour-Maubourg, Paris 7, 1992

مراجع شبكة الانترنت:

1- ترجمة الطائفة الملكانية:

https://www.britannica.com/topic/Melchites

2- ترجمة ليو الثالث الإيساوري:

https://www.britannica.com/biography/Leo-III

3- لفظة سارسين:

https://www.britannica.com/topic/Saracen

4- لفظة هرطقة:

https://www.britannica.com/topic/heresy

5- ترجمة أريوس:

https://www.britannica.com/biography/Arius

6- ترجمة واشنطن إيرفينغ:

https://www.britannica.com/biography/Washington-Irving

7- موسوعة كشاف:

https://www.kachaf.com/wiki.php?n=5ed567c26ae14360a867566a

8- ترجمة مدينة الرها:

https://www.britannica.com/place/Osroene

9- موقع بطريركية الروم الملكيين الكاثوليك:

http://www.melkitepat.org

10- سيرة علي بن محمد عودة الغامدي:

https://alghamdiprof.com/ali

11- ترجمة شوقي أبو خليل في موقع دار الفكر:

https://fikr.com

12- برنامج (أولاد إبراهيم) على قناة (الكرمة) بعنوان (يوحنا الدمشقي):

https://www.youtube.com/watch?v=oyYETyaeXw4&ab_channel=AlkarmaTV%D9%82%D9%86%D8%A7%D8%A9%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D9%85%D8%A9

13- برنامج (بكل وضوح) على قناة (الأخ رشيد) بعنوان: (ماذا قال يوحنا الدمشقي عن الإسلام؟):

https://www.youtube.com/watch?v=cW5chVKcGjk&ab_channel=BrotherRachidTV%D9%82%D9%86%D8%A7%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AE%D8%B1%D8%B4%D9%8A%D8%AF

14- برنامج (بكل وضوح) على قناة (الكرمة) بعنوان: (ماذا قال يوحنا الدمشقي عن الإسلام؟):

https://www.youtube.com/watch?v=n_h61B9jC-w&t=2s&ab_channel=AlkarmaTV%D9%82%D9%86%D8%A7%D8%A9%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D9%85%D8%A9

15- موسوعة عريق:

https://areq.net/m/%D8%A3%D8%AE_%D8%B1%D8%B4%D9%8A%D8%AF.html